المقتطف

الجزء الثاني من المجلد السابع بعد المائة

١ يوليو سنة ١٩٤٥ ٢١ رجب سنة ١٣٦٤

الفيلسوف الباكي

هيرقليطس الايوني (١)

> « هنالك شموس انطفأت أمام أعيننا ، وأخرى تومض بضعف كأنها لهب شمعة كادت تذهب . أما السماوات ، التي خيل للناس انها ثابتة لا تتغير ، فانها لا تعرف من معنى الأبدية ، إلا أبدية انها مسوقة في مجرى الاشياء » .
>
> أناتول فرانس : في حديقة ابيقور

لا طفرة في الطبيعة . لا تعرف الطبيعة الطفرة ، لا في عالم الانتاج الفكري ، ولا في عالم التوليد العضوي . كذلك نجد في عالم الفلسفة ان « البدايات المطلقة » هي في حكم المستحيلات . وإنك مهما عيَّنت مبتدأ هذه الفكرة أو ذلك المذهب ، أو حَدَّدْت منتهى أحدها ، كمذهب « التذَكّر » — Reminiscence أو مذهب « الدَّلف المستمر » — Perpetual flux أو نظرية « الاستقراء » ، أو النظرة الفلسفية بوجهٍ عام ، فإن الأخصائي في مستطاعه دائماً أن يقع على اشارة أو مبتدأ لذاك المذهب أو تلك النزعة الفلسفية . فان أكثر أعمال التحليل العقلي غزارة ، تحتاج إلى زمان حتى تتكوَّن وتبدأ في الظهور . والمعرفة التأملية في أبسط مظاهرها ، والتجريدات التي تبلغ من التفاهة بحيث يتعذر علينا أن نعتقد أن عقلاً بشريًّا قد يخلو منها، ينبغي لها أن تنشأ ثم تنمو ، ولكن بصعوبة وجهد جاهد . والفلسفة نفسها ، عقلية أو أدبية ، لها ممهداتها ومذلّلات سبلها وسوابقها ، مُصوَّرَة في الشِّعر الذي يسبق ظهورها في العادة . فعبارة من العبارات التعميمية القوية مثل التي لحظها

---

(١) صورة فلسفية سوف نعقب عليها بصور أخرى حتى نجلو هذا الفيلسوف العظيم في لوحة ظاهرة الاجزاء.

«هيرقليطس» عندما نظر في تدفق الوجود وعدم استقراره فقال — « الأشياء تدلف بعضها في إثر بعض » (١) — Panta rei — قد تحدث شيئاً من التيقظ بجدتها في بعض العصور ، ولكنها تثبت في العقول، لأنه يختفي من وراء أرومتها الفكرية، غريزة طبيعية من غرائز العقل ، لم تستكمل قوامها ولم تحز كل قوَّتها .

***

اعتقد الكثيرون أن « أفلاطون » هو خالق الفلسفة . ولا مرية في أنه قد اصطنع في عالم الفلسفة تقدماً عظيماً ، نقلها من خشونة البدايات التي نلحظها في البحوث العلمية التي ذاعت عند اليونيين أو الألياويين ، إلى تلك الآفاق العليا التي ظهرت فيها الفلسفة كاسية حلة الأدب الرفيع، فكأنه بلغ بالفلسفة غاية من غاياتها العليا . وإنَّ نظرةً في عالم المعرفة ذلك النظر الموسوعي الشَّامل ، لأكثر من خطوة ارتقائية . فلم يمر بالعقل البشري من قبلها نظرة بزَّتها قوة أو جمالاً أو تغلغلاً في صميم الأشياء ، بحيث يمكن أن تقرن بها . وما عمل أفلاطون قد يلوح ، مع التأمل ، كأنه ابتكار صرف من المبتكرات التي يفخر بها العقل البشري في فجر حياته . ولكن الحقيقة ان الدنيا التي ولجها أفلاطون ، كانت تعج بالمذاهب والخلافات الفلسفية ، وتضجّ بالمنابذات الطائفية ، ومبادئ المدارس المتباينة . وكذلك اللغة ومذاهب الفكر ، كانت قد نالت منها السفسطة ، والجو الذي استنشق أفلاطون عبيره لم يكن جوًّا خالصاً من ذرَّات تأمُّل مريض .

في كتاب « طيماوس » Timaeus الذي عالج فيه أصل الكون ، ظهر أفلاطون بمظهر الناقد الانتقائي ، أكثر منه مؤلفاً لنظرية حديثة في الفلسفة ، كما يدل على ذلك تلك الحيرة التي لابسته عند ما مضى ينتقل من نظرية الى أخرى تنقضها ، وكما أننا قد نرى أن ذلك الكتاب قد أصبح كمختزن حشدت فيه كل النظريات الفوسيقية ، كذلك يخيل الينا ، إذا ما قرأنا كتابه فرمنيدَس — Parmenides — ان كل المشكلات الميتافيزيقية (الغيبية) قد مرَّت بعقل أفلاطون وهو مكبٌّ على تسطير ذلك الكتاب . ندرك من ذلك أن بعض النتائج التي وصل اليها غيره من المفكرين السابقين عليه ، ولو انها كانت قد ماتت وذهب ريحها ، قد دخلت في فلسفته فكوَّنت أجزاء من هيكلها . ترى ذلك أينما وليت وجهك في أنحاء ما كتب ، لا على الصورة التي ترى بها الأجزاء المنتحلة القديمة تزين واجهة بناء جديد متفرقة بين نواحيه ، ولكن تجدها منتشرة هنا ثم هنالك أشبه بالبقايا الدقيقة المستمدة منه حياة عضوية قديمة ، امتصت ثم مُثِّلت ، فكانت في حياة جديدة ، جزءاً مقوماً منها .

---

(١) اضطررنا إلى رسم بعض الالفاظ اليونانية بحروف لاتينية للضرورة

إن مبادئه الأساسية وفكراته الجوهرية التي قام عليها مذهبه ، تدفع بنا الى الرجوع سعياً ، لا الى أسلافه الأقربين ، ولا الى معلمه العميق الغور سقراط ، الذي عاش في صفحات ما كتب أفلاطون ، ولكن إلى مدارس متفرقة سبقته فأكبت على التأمل الفكري في اغريقية وأيونيا وايطاليا . ومن قبل هؤلاء قد نرجع الى عصر الشعر ، ذلك العصر الذي نرى فيه بدايات الفلسفة تكاد تبدو من ضباب الزمن ، وهي لا تكاد تعرف ، حتى من قيمة ذاتها شيئاً.

ثم مد نظرك لأبعد من هذه الفلسفة غير الواعية لحقيقة ما هي ، وانغمر في ضمير الزمان الى تلك البدايات التي تمثّلت في الميول العقلية والخلجات النفسية وترامى قوى الفكر الى حجب العالم، تجد أن هذه الأشياء قد شهدت ميلاد فكرات تمت الى فكرات أفلاطون بنسب ، منحدرة اليه من مدنيات عتيقة موغلة في القدم ، من الهند ومصر، وتجد فوق ذلك أن هذه الفكرات لا تزال حتى اليوم تؤثر أثرها المحتوم في عالم التأمل .

مَثَل فكرات أفلاطون، كاللغة التي استعملها ، كلاهما اصطبغ بصبغة الجهد، ونمّتا عن أثر العناية والدقة ، بالرغم من أن لهذه الفكرات وتلك اللغة ، أصحاب قدماء ، ترجع اليهم نشأتهما. وقلما نُتَّهم بالمغالاة إذا قلنا إن أفلاطون بالرغم من الجدة التي نلحظها في لغته الفلسفية، فان كل موضوعات الحكمة التي تكلم فيها ليس فيها من جديد صرف . أو نقول إن آثار أفلاطون الفلسفية ، ككل نواتج العبقرية البشرية الاثينة ، ما يلوح فيها انه جديد ، انما هو قديم بمعنى مّا، هو تعليق أو تحشية، مثلها كالثوب الجديد الذي ينسج من خيوط قديمة استعملت من قبل في ثوب آخر ، او كمثل كائن حي ، عاشت جزئياته التي منها يتألف وماتت، مرات عديدة على كرّ الزمان .

ليس من جديد إلاّ ذلك المبدأ الخالد الذي يهب الحياة ويؤلف بين عناصرها . الجديد هو الصورة المرئية ، واللون الذي تجلى فيه تلك الصورة ، والقوة التعبيرية التي تلابس الفكرات الذائعة ، بما يدخل عليها من المجانسة والتوفيق والألفة . وبعبارة أخرى نقول ان الصورة هي الجديدة .

وبعد فان الأمر في خلق أدب فلسفي جديد ، كالأمر في خلق أي أثر فني، يوحي إلينا أن الصورة بأوسع معانيها ، هي كل شيء ، وإن المادة التي يتألف منها من حيث الجدّة ، لا شيء.

هنالك ثلاثة أساليب بها تنقد الآراء الفلسفية ، بل وكل الآراء التي تنزع الى التأمل . فكل المذاهب والآراء التي بثت في جمهورية افلاطون مثلاً ، يمكن أن يخضعها الناقد جميعاً الى هذه الأساليب ليكشف عما فيها من الخطأ أو الصواب . وهذه الأساليب النقدية هي :

الأسلوب المذهبي : وهو طريقة للحكم في مستفادات العقل الانساني ، وإن بعدت عن

فكر الناقد وعصره ، بمقتضى تلاؤمها أو تناقضها مع المبادىء التي قال بها باكون أو اسپينوزا أو مِلْ أو هيجل أو غيرهم ، مقيسة على أفضل ما يتعلق به الناقد من المتجهات العقلية .

ثم الأسلوب الانتقائي أو التوفيقي : وهو أسلوب يرمي الى أن يلتقط الناقد من المذاهب المتنابذة أو المتعارضة ، ذُرَيْرات الحق المتناثرة في ثناياها بحسب ما يراه منها حقاً. وهو أسلوب يشيع في العصور التي تقوى فيها نزعة القراءة وتتسع فيها المعلومات ، ويكثر شحن الاذهان بالآراء والفكرات ، ولكن بغير أن يكون للمعلومات المستجمعة على هذه الصورة قوة أولية خاصة بها ، ومثلها مذهب الافلاطونية الجديدة كما شاع في مدرسة الاسكندرية في القرن الثالث الميلادي ، أو كما عاش في فلورنسا في القرن الخامس عشر . وأهم نقائص هذا الأسلوب الرسيسة فيه ، هي نزعته الى تشويه المذهب الأصلي الذي يحاول تبيانه وجلاء غوامضه ، لكي يلفق أو يؤلف بين أحسن ما فيه ، وبين العناصر الاولية في نظام فلسفي آخر مسلمٍ وموثق به من ناحية الناقد .

هذان الأسلوبان النقديان نحَّيا الطريق في القرن العشرين ، بتأثير نظرية هيجل الثابتة التي كوَّنها فيما دعاه « روح العصر » ، وهي روح دائمة التغير مستمرة الفيض والتدفق ، لأسلوب ثالث في النقد ، هو الأسلوب التاريخي . وهو أسلوب يحملنا على أن نردّ المذهب الذي نكب على نقده أو الأثر الفلسفي الذي انحدر الينا من مخلفات الماضي ، كجمهورية أفلاطون مثلاً ، بقدر المستطاع وجهد ما يصل الجهد ، إلى مجموعة الحالات العقلية والاجتماعية والمادية التي أحاطت به حال نشوئه . هذا إذا ما أردنا صادقين ان نتفهمه و نتفقه فيه . فان هنالك بضعة مبادىء اقناعية بقوتها ، نستطيع أن نحكم من طريقها في أشياء العقل : أسويَّة هي أم لا سويَّة ، لدى أول تأمل نحصره فيها ، كما انها تمدنا بمعنى يقبله العقل من ناحية أصلها وكيفية نشوئها .

أول هذه المبادىء انه ينبغي لنا أن نعتقد أن لكل عصر عبقرية خاصة ، أشبه بعبقرية الأفراد ، وان لكل عصر « صورة عامة » أو « طابع عام » يستمد من الحالات التي تدمغ كل ما ينتج في ذلك العصر من عمل أو فن أو تجديد أو تأمل أو دين أو أخلاق ، بل ويدمغ وجوه الناس أنفسهم ، وانه ما من شيء استخلصه الانسان من طبيعة نفسه ، يمكن أن يفهم حق الفهم ويدرك حق الادراك ، إلاّ في عصره الذي نشأ فيه ، ومن ينبوعه الأصيل الذي خرَّجه من تضاعيف تلك الحركة الدائمة التي يختص بها هذا النظام الدنيوي ، وان أسمى ما ينبغي أن ينصرف اليه من يتصدى لدرس المذاهب الفلسفية ، انما هو تنمية « الملكة التاريخية » في نفسه .

إن كل شيء في الوجود هو مقولة منطقية قائمة بذاتها من مقولات الضرورة القاسرة . لذلك ترى أن العقائد مهما ضربت في الخيال ، ومشت مع التصور ، « كشيوعية » أفلاطون مثلاً ، انما تقع على أصولها الطبيعية إذا ما رددتها الى تلك المقولات ، وما نقصد بالمقولات هنا إلاّ الحالات التي أحاطت بها ، والتي لم تخرج تلك العقائد عن أن تكون جزءاً منها ، ونبذة من مجموعها .

* * *

في الحياة الفكرية ، كما هي الحال في الحياة العضوية ، ترى ان كل كائن ، بما فيه من خصائص ، سويّة ولا سويّة ، انما هو خاضع في حتمية وجوده وهيئته ، لحكم «البيئة» .

واذن يكون خير ما يعكف عليه دارس أفلاطون ، لا أن يؤيده في نقاش فلسفي ، ولا أن يعتنق آراءه أو يرفضها ، أو يكيفها ، أو أن يتلمس الأعذار عمّا يظهر في أفلاطون انه ضلال عن الحق ، أو ان يزوّد عقله ببراهين وأدلة تؤيد نظرية أو معتقداً يكوّنه هو في مخيلته ، كلاّ ، انما ينحصر واجبه في أن يتتبع ، بفهم وبغير تحيز ، التساوق الذهني فيما يقرأ ، كما يتتبع حركات اللاعبين في ملعب عام . وخير من ذلك لكل من يقرأ أثراً من آثار العقل البارزة ، مثل رواية هملت أو منظومة دانتي أو جمهورية أفلاطون ، ان يلحظ أنه انما يرقب من خلال السطور عقلاً جباراً قويّاً فياضاً ، يحاول أن يترجم عن نفسه ، وهو محوط بمجموعة معقدة من الحالات ، لا يمكن أن تتكرر في الواقع مرة أخرى . مجموعة اختصت ، ذات عصر ، بصفات متعارضة ، فكانت لينة خشنة ، دمثة هوجاء في وقت معاً ، وان تلك الترجمة قد صبت في قالب عمل أدبي عظيم ، هو تلك السطور التي تجول في أنحائها ناظراه .

إن الأسلوب الطبيعي في نقد أفلاطون ، هو أن تضعه في موضعه الطبيعي ، فيكون بمثابة نتيجة لمقدمات هي حركات الفكر التي ذاعت في عصره ونزعات التأمل الاغريقي والحياة الاغريقية عامة . تلك هي طريقة الأسلوب التاريخي ، وهو الأسلوب السليم في نقد أفلاطون ، وعليه ينبغي أن نقيس . وما أفلاطون هنا غير مثلٍ اخترناه

***

أول ما يبهرك إذا ما مضيت تنظر في جمهورية أفلاطون ، بملكة تاريخية ، حقيقة أن بعضاً من فكراتها الأساسية قد استمدت من مفكرين تقدموه ، قد يتفق أن يصلنا عن بعضهم معلومات مستقلة عن ما نستقيه من الجمهورية .

في مدى الحياة الاغريقية الغاصة بصور النشاط الفكري ، تقع هنا أو هناك على مفكر يعكس عن فكره عملاً من أعمال الوعي الفلسفي ، عمل يقوم به المفكر ببساطة ، لأنه نتاج

التأثير المستمد من العالم المنظور الدائم الفعل في ما يحيط به من الأشياء . ومن أسلاف أفلاطون الذين تقدموه في عالم الفكر ، وهم كثيرون ، فئة أضفى عليها الفكر في العصور الحديثة شيئاً من القيمة وخصها بقسط من الأثر ، تلقاء ما كتب الفيلسوف هيجل وغيره من المعقبين على مذاهب الفلسفة ، فنجد فكراتهم ، وربما نجد ألفاظهم بذاتها ، مبثوثة في متن أفلاطون . وقد تبرز جلية واضحة في صفحات الجمهورية . منهم فيثاغورس ، الذي قد يلوح للبعض كأنه انساناً نصف خرافي ، صاحب المذهب المعروف في العدد والموسيقى ، وفرمِنيدَس ، الذي يقول فيه أفلاطون تبجيلاً « ابي فرمِنيدَس » — رأس المدرسة الالياوية ، ثم ثالثهم هيرقليطس القائل بنظرية « الدَّلف المستمر » . ثلاثة من كبار المعلمين ، ينبغي ان نسلم بأن كل ما وصل الينا عنهم من التعاليم إنما هي أشتات فيها غموض . ولكن طريقة واحدة ، تجعلنا نُقَيِّم مخلفاتهم ونستخلص ما علموا به استخلاصاً فيه بعض الدقة والتحديد ، هو استقراؤهم من خلال ما كتب افلاطون .

هيرقليطس فيلسوف كتب فلسفته نثراً ، ولكن في تضاعيف ما نثر روحاً من الشعر تشيع فيه ، فنصف فلسفته مصوغ في قالب شعري منثور ، وتأمل صبٌّ في قالب نثري فيه روح الشعر ، ونصفها معلومات تعميمية ، أداها في أسلوب فيه عبوس وابهام ، ولكنها منعشة للفكر ، محركة للتأمل نافذة إلى أعماق النفس . ولا ننسى مع هذا أن بعض النقاد قد رأوا ان نثره ، في بعض المواضع ، كان مثالاً احتذاه أفلاطون ، فهو بذلك أحد الذين يعتبرهم أفلاطون آباءه في الفكر والحكمة . لذلك نقول إن أثره في أفلاطون — وأفلاطون في أول أمره من الهراقلة(١) — قد عمل في عقل أفلاطون وأثر فيه بقوة التضاد والركس العقلي (أي رد الفعل) . فان وقوف أفلاطون موقف الضد والخصم من كل مذهب فلسفي قال بمبدأ « الحركة » ، قد كان بمثابة « الفكرة الثابتة » التي لا يمكن أن يتولاها الوهن أو يؤثر فيها الدليل والبرهان .

هيرقليطس ، فيلسوف من أهل « أفسوس » ويكفي أن نعرف من أفسوس أنها احدى المدن الاثني عشرة التي ألَّفت الحلف الإيونيّ . مات قبل أن يولد أفلاطون بحوالي أربعين سنة . وكانت أفسوس في ذلك العصر مقرّ الحركة الدينية ومهبط أهل الدين في إيونيا ، وكانت قد تخلصت منذ قريب من مستبدين استبدوا بها وقضوا على حريتها زمناً . أما هيرقليطس ، فمن أسرة قديمة كريمة الأرومة ، فهو نبيل بمولده ، سيد بمركزه الاجتماعي ، كريم الخلق بطبعه . فكان في جوّ تلك الديمقراطية الاغريقية الحديثة المرتجة غير المستقرة ،

---

(١) أتباع هيرقليطس

والتي لم تثبت أصولها بعـد في نفوس الأفارقة ، كمرآة انعكست عليهـا الصور القائمة من حولها من غير أن تؤثر تلك الصور في صفائها بشيء ، رغم انها كانت عنيفة هوجاء ، وكذلك ظلّ هذا الرجل ، بالرغم من اضطراب حالات عصره ، محتفظاً بهدوء نفسه ، وسلام روحه . وربما يكون قد حدث في تلك البيئة ، على قدم عهدها وقربها من أوليات الحركة الفكرية ، مثل ما نراه قد حدث في غيرها من البيئات قريبة العهد بزماننا ، من تناسُخ مذاهب الفكر وتغيرها على وجه الدوام ، هذا يجيء ، وذلك يذهب ، دوراً بعد دور ، بمقتضى المسالك التي يتجه فيها الفكر ، وهي مسالك ، شدّ ما تغمض علينا أسبابها .

تقوم الامبراطوريات فتزهو وتزهر ، ثم تضمحل وتموت . وبالقياس على ذلك ، وان كان مع الفارق ، اضمحلّت في مدينة أفسوس طائفة النبلاء ، وبالحري طائفة ذوي المصالح الحقيقية ، كما نعرفهم في عصرنا هـذا . وفي غمرة تلك الأحداث ، وفي وسط ذلك القلق البادي في حياة الاغريق لدى أول عهدهم بفتوة الفكر ، ولفتوة الفكر انطلاقاتها العنيفة كفتوة الحياة تماماً ، تقع على رجل من أشـد تلك الطبـقة النبيلة كبراً وعزة ، ضمّ الى ارستوقراطية المولد والنشأة ، أرستوقراطية المواهب العقلية : تقع على هيرقليطس ، يعمل ويبشر ، بالرغم من موضعه هذا ، بحرية الفكر المطلقة ويؤيدها ، ويطلبها غير مقيدة بقيد ولا معلقة بشرط . ولكنه برغم هذا كله ، على ما نتصور من أمره ، يشعر بالخيبة والحزن ، إذ يرى أن تأملاته الفلسفية لا تلقي على ما حوله من العقول والأشياء ، إلاّ بأشعة ضعيفة حائلة اللون . وفي فصول تلك المسرحية التي يمثل أدوارها أشخاصٌ بعـدوا عن الفكر الفلسفي ، وحرموا نعمة التأمل في حقيقة الاشياء ، حتى لقد عدموا الشعور بما كان قائماً من حالات الدنيا الحافّة بهم فمضوا لهـا منكرين ، كان هيرقليطس وحده الانسان المفكر الواعي بذاته .

يتأمّـل . وفي تأملاته خصـائص ذلك الحزن الذي يملك زمام الشباب اذا اضطرّ الى التأمل وأفعمتهُ دنيا الانسان ودنيا الطبيعة ، بغذاء للتأمل . وفي لحظة يشعر بأنهُ قد عمّـر وانهُ أصبح شيخاً ، وأن حرارة الدنيا التي سلبتهُ صفة الشباب ، قد أخذت تتناقص ، وأنّ قرّها قد أصبح في حناياه .

ومع هذا فان هيرقليطس ، قد مضى مترفعاً عن العامة ، مبتعداً عن السوقة ، ليفكّـر ويتأمل . كان ذلك في عصر نقول انهُ ربيع التاريخ الاغريقي ، والدنيا من حوله تمر مرّ السحاب ، والحياة تندفق في تيارها المنسجم الدائم ، فانعكس من هذه الأشياء على فكره صور كوّنت لباب تأمله وعناصر فلسفته التي لم تتخذ صورة البحوث المطولة ولا صبت في

قالب مذهب ، بل كانت أقوالاً تدور حول فكرة أساسية من الدّلف المستمر ، وأن كل الأشياء تزول ولا شيء يبقى .

(Panta chowrei kai ouden munei)

مرَّ من قبل هيرقليطس بحّاث وفلاسفة من طابع آخر . فلاسفة طبيعيُّون ، تطوّحوا مع ظنون جريئة متناقضة في حقيقة ما تتألف منه العناصر الاولية ، ودنيا الأشياء المرئية ، والشمس والنجوم والحيوان ، وتسللوا من ذلك الى البحث في ما تتألف منه أرواحهم وابدانهم . كان هؤلاء جزءًا من عالم التجديد الاغريقي في ذلك العصر ، عصر الانطلاق العقلي . كانوا بمثابة مجموعة من المغامرات العقلية ، وقعت في أرض مجهولة أو بحر غير مطروق .

إن المُحَصّلة العقلية التي أدى اليها تفلسف هؤلاء كانت فوضى غامرة عبَّرت عن روح الشباب المتوثبة الموهوبة المتمردة . ولا ننسى ان كلمة « شباب » في اليونانية (Neotys) قد عبرت عن الغرور والنزق . وقد مضت تلك الروح متسائلة قابلة رافضة قاطعة مترجرجة متعلقة ببينات نِجّة غامضة ، متمردة على النظام ، بعيدة عن اتباع أسلوب معين ، مطلقة من القيود ، إباحية غير مسئولة . هذه الآراء ، بحكم حلولها ثم ذهابها ، وتلك التخيلات التي صيغت في حقيقة الدنيا وما يختفي وراء ظواهر الدنيا المحسوسة ، كانت بطبعها عناصر مائعة تتموج على صفحة الوجود .

نعم . نقول « صفحة » الوجود . ولكن أمن شيء يختفي وراء هذه « الصفحة » المرئية ؟ ذلك ماينكر وجوده هيرقليطس . بشّر بذلك لسامعيه وقارئيه . ليس من شيء الاّ « الحركة الدائمة » ، في الأشياء وفي الآراء التي تتعلق بتلك الأشياء . تلك الفلسفة الحزينة الواعية بذاتها ، فلسفة هيرقليطس الشاب الذي تقدمت به المعرفة فوق سنيه ، وفي ذلك الوسط الذي مثل شباب العقل في شباب دنيا الفكر ، لم يستطع ذلك الفيلسوف أن يستقوى على ثبات تلك الفكرة في نفسه ، فكرة « الحركة الدائمة » أو « الدّلف المستمر » .

أليست هذه الفكرة بذاتها دليلاً على الحركة المستمرة ؟ أليست حركة انتقال من الماضي الميت ، الذي عاش لُحَيْظَة . أسلمت به الى « الحاضر » ، هذا الذي سوف يموت أيضاً ، قبل ان نتمكن من أن نشير إليه بقولنا « هاهوذا » ؟

عقلٌ تحليلي من أقوى ما أبدعت الطبيعة من العقول تناول المعلومات وتناول العقل ، وأحاط بكل المعارف التي ذاعت في زمانه ، وحدّد الفكر تحديداً منطقيًّا شاملاً . ذلك ما وُهِبَه هيرقليطس من هبات الطبيعة . ففي يجر وراءه الأشخاص والأشياء من عالم الحركة

الظاهرية الجزئية الى عالم آخر من الحركة الكلية ، حتى ليخيَّل إليك انه حاول أيضاً أن يجر الأرض من تحت قدميك ، فيقذف بها في تيار تلك الحركة الجارفة .

***

إليك مبدأ الفَسَاد ، وإليك مبدأ الزَّوال ، المبثوثان في كل ظواهر الطبيعة . أليسا هما المبدآن المنبثَّان في تضاعيف العناصر الأولية التي تتكوَّن منها المادة والتي تتكوَّن منها النفس ؟

في كتاب إقراطيلوس : يقول سقراط . « ما من أحد عَبَر مرتين فوق مجرى واحد» هذا التغيّر السريع ، اذا لم يجعل المعرفة مستحيلة استحالة مطلقة ، فانه يجعلها على الأقل نسبية في مجموعها ، أي انها تصبح غير ذات قيمة كما يقول أفلاطون . وبذلك يصبح الانسان وسط هذا العالم المتدفق ، وعند نقطة الزَّوال ، تلك التي تحتكم في المكان والزمان ، مقياس كل الأشياء .

من عبارات أخرى في كتاب « إقراطيلوس » يمكن إن نفهم وجهاً آخر من مذهب هيرقليطس . وجه ينحصر في محاولة حاولها عساه يردّ ذلك الوجود الذي تغمره فوضى « الدلف المستمر » ، وجوداً نظيماً ذا قوانين وسنناً تحكمه ، فلعلَّ هنالك « ألفة دوريَّة » Antiphonal rythm أو منطقاً كونيًّا يضبط الوجود فيتجانس فيه التنقل من حركة إلى حركة ، كما لو كان ذلك المنطق تأليفاً موسيقيًّا معقَّداً ، يربط معاً وفي جملة واحدة ، جميع تلك القواسر المتنابذة المتباينة صورها ، والتي يمضي فيها التباين إلى غير نهاية أو غاية .

كان هذا بمثابة اعتراف ، حتى من ناحية ذوي الفلسفة التي تنكر التّساوق وتجحد الاتساق ، بضرورة ان تعود الى الوجود رتابته ، بعد ان غمرته الفوضى المائمة غير المستقرّة ، فوضى الطيرة الى الدلف أي الحركة

ولكن اذا كان الفيلسوف الباكي ، وهو رأس المتشائمين ، قد يجد في خضوع الوجود كله لمبدأ التغيّر وعدم الثبات ، مُستَمَدّاً يستمد منه بواعث حزنه وألمه ، فأجدر به ، ولا ريب ، ان يكون أشد حزناً عندما يرى ان أذن الانسان قد سُدّت ، وان عقله قد استغلق ، فلا هو يسمع ، ولا هو يفقه ، من ذلك اللحن الحزين المنساب في ارجاء الكون ، شيئاً .

اسماعيل مظهر

من حديقة أبيقور

لا شك يعتورنا شيء من الانفعال اذا أردنا أن نصوِّر عقل الانسان في العصر القديم ، حيث أعتقد اعتقاداً لا يوهنه الشك ، ان الأرض في مركز النظام الدنيوي ، وان كل الكواكب يدرنَ من حولها . لقد شعر تحت قدميه بأرواح الذين أصابتهم اللعنة يتقلبون في النار ألماً ، وربما خيل اليه انه رأى بعيني رأسه وشمَّ بذات أنفه ، أدخنة الكِبْرِيت تنبعث من جهنم ، مُفْلِتة من خلال صدع في الصخور . فاذا رفع رأسه الى أعلا تطلع الى الافلاك الاثنى عشر ، الى فلك العناصر وفيه الهواء والنار ، ثم أفلاك عطارد والزهرة التي زارها دانتي في يوم « الجمعة » الحزينة من سنة ١٣٠٠ ، ثم أفلاك الشمس والمريخ والمشتري وزحل ، ثم القبة الزرقاء التي تُعَلَّق فيها النجوم كأنها المصابيح . ومن وراء هذه ، رأى بعيني عقله ، السماء التاسعة او الفلك التاسع ، مقر القديسين ، ثم المحرك الأول أو الفلك البلوري ، ثم في النهاية المَطْهَر ، مقام المنعمين واليه تتطلع نفسه بعد الموت ، أن يتلقفها مَلَكَان يلبسان البياض ، كما لو كانت نفسه في طهر الطفل الوليد ، فتغسل بالتعميد وتعطر بزيت السر المقدس .

في ذلك العصر لم يكن لله من اولاد غير الانسان . أما بقية خلقه فقد نظم بطريقة أقرب الى الطفولية وفي صورة شعرية ، فكأنما هي كاتدرائية عظيمة . فاذا تصورنا الكون على ذلك ، ألفيناه بسيطاً ، حتى لقد تتخيله في مجموعه ، وبمختلف صوره وحركاته ، كأنه آلة مركبة من آلات عدة .

أما الآن فقد قوَّضنا الافلاك الاثنى عشر، وكذلك الكواكب التي كان الانسان يولد في ظلها سعيداً أو شقيًّا، مُشْتَرِي الحياة او زُحَلِيها. أما القبة الصُّلبة التي هي السماء، فقد تهشمت وتطايرت شظايا في اعتبارنا. وبذلك اخترقت العيون والافكار أغوار الكون اللانهائية. فلا نجد اليوم ذلك المطهر مستقر الصالحين والملائكة، قائماً من خلف السيارات بل مئات الملايين من الشموس، تحوطها من الاقمار والتوابع ما لا تراه العين المجردة. وفي وسط تلك العوالم اللانهائية يقع عالمنا، كأنه ذرَّة من غاز، وأرضنا كأنها ذرَّة من طين.

العوالم تموت، لانها تولد. انها تولد وتموت إلى غير نهاية. والخلق بحكم انه ناقص وبعيد عن الكمال، لا بدَّ من أن يعتوره التغير بغير انقطاع. إن الشموس تنطفىء، فلا نقدر ان نقول اذا كانت بنات الضوء هذه، تبدأ بموتها على هذه الصورة، حياةً اخرى في صورة سيارات، فتكون حياتها الجديدة حياة مفعمة بالخير. كما لا نقدر ان نقول ما اذا كانت السيارات قد تنحل فتصير شموساً تارةً أخرى. كل ما نعرف أن السكون غير كائن، لا في السماء ولا في الارض، وان سنة العمل والجهد تحكم العوالم، وتقدّر مصايرها الى ما لا نهاية.

هنالك شموس انطفأت أمام أعيننا، وأخرى تومض بضعف كأنها لهب شمعة كادت تذهب. أما السماوات التي خُيّل للناس انها ثابتة لا تتغير، فانها لا تعرف شيئاً من معنى الابدية، اللهمَّ الاَّ أبدية انها مسوقة في مجرى الاشياء.

من حديقة أبيقور : أناتول فرانس

Orientalisches Seminar Freiburg i. Br.

الآراء الاقتصادية عند العرب

قواعد النظام المالي الاسلامي

الخراج

— ٢ —

٤ — استحقاق الخراج

يستحق الخراج بصرف النظر عما اذا كان المالك يزرع أرضه او لا يزرعها ، بشرط ان تكون لديه القدرة على ذلك . إذ ان الداعي لفرض الخراج هو قدرة الأرض الانتاجية ، وصاحب الأرض بقعوده عن زرعها رغماً عن قابليتها للانتاج قد جرد المنتفعين من الخراج من الريع المستحق لهم . على ان الامام مالك يرى انه ليس على حائز الأرض خراج اذا لم تزرع الارض سواء أكان لديه العذر في القعود عن زراعتها أم لم يكن لديه ذلك .

وإذا لم يكن في قدرة المالك زراعة ارضه لافتقاره الى الوسائل التي تمكنه من ذلك فللامام الحق في ان يقطع الأرض لزاوع آخر بطريق المزارعة(١) ويرى أبو حنيفة انه عند ما يهجر أهل الخراج أراضيهم فللامام زرعها لحساب الخزانة العامة (بيت المال) او اقطاعها ، وبذلك يكون الدخل الناتج منها كله للامة . واذا لم يتيسر ذلك فللامام ان يبيع الأرض ويجبي الخراج من الثمن المتحصل ويرد الباقي لصاحبها . ويجوز لصاحب الأرض استعادة أرضه اذا أمكنه ذلك اللهمّ الاّ اذا كانت قد بيعت .

ويرى الماوردي انه اذا باين الخراج المفروض على الأرض المحصول الناتج بسبب صاحب الأرض ، فتجبى أقل الفئات الممكن جبايتها ، وذلك لأنه عوضاً عن اهمال الزراعة اهمالاً كليًّا قد زرع المحصول الخاضع لأقل الفئات . وهذا العمل يدخل في نطاق حقه

---

(١) المزارعة اتفاق بين صاحب الارض وأحد المزارعين مقتضاه أن يقوم الأخير بزرع الارض لقاء أداء جزء من المحصول اصاحبها ، وتسمى أيضاً مخابرة وهذا اللفظ ينصب فقط على زرع الحبوب ويقابله المعاملة والمساقاة في حالة الشجر كما ان المضارعة تقابل معنى المزارعة في حالة التجارة إذ تعني شركة بين رب المال وبين التاجر « المضارع » الذي يشترك بعمله لقاء جزء من الارباح

الشرعي . وثمة رأي لأبي يوسف القاضي يتلخص في انه عند ما يكون صاحب الارض عاجزاً عن زراعتها فعلى بيت المال أن يقرضه المبالغ التي يحتاج اليها لذلك . واذا ما افتقر صاحب الأرض الى وسائل الزراعة الصالحة فيجب الاشارة عليه بتأجيرها لآخر او يكف يده عنها كي تتحول إلى آخر يمكنه زراعتها وعمارتها ، ويبرر الماوردي ذلك بقوله إنه لا يجوز أن تصبح الأرض بوراً حتى ولو كان خراجها يدفع ، فقد تستحيل الى أرض موات . ويوافق صاحب كتاب الدر على الرأي السابق بتحفظ مؤداه ، إنه لا يطبق إلا على الخراج المعين (خراج الوظيفة) فحسب بشرط أن لا يحال بين صاحب الأرض وبين زراعة أرضه ولا يستحق خراج على الأرض إذا منع من ذلك ، وكان الخراج من النوع النسبي والمقاسمة .

وإذا كان أحد أجزاء الأرض غابة حافلة بالصيد ولا يمكن زراعتها فيعفى هذا الجزء من الخراج ، وكذلك الحال في الأجزاء التي تنمو فيها نباتات البوص أو أشجار الصنوبر والصفصاف وماشابهها أي الأشجار التي لا تحمل فاكهة ، اللهمَّ إلاّ إذا أمكن إزالتها وزراعة الأرض المتخلفة عن ذلك ، ففي هذه الحالة يجبر صاحب الأرض على تأدية الخراج . ويسري نفس المبدأ إذا كانت هناك رواسب ملحية في الأرض تحول دون زراعتها .

وإذا امتلك شخص قرية واقعة في أرض خراجية فلا يؤدي الخراج على منازلها سواء أكان يؤجرها أم لا . كذلك الحال إذا ما حول جزءاً من مسكنه (إذا كان موجوداً في بلد أهله مسلمون) إلى مزرعة فلا يؤدي خراجاً ، إذ ما زال هذا الجزء يعتبر جزءاً من الدار والدور لا يؤدى عليها خراج . على إنه إذا ما حول مسكنه كله إلى حقل وجبت عليه الضريبة . والمرجع في حالتي الفرض والاعفاء ، الى الحالة التي كانت عليها الارض وقت الفتح ، إذ تظل كما هي على مرّ الأزمان . وتطبيقاً لهذه القاعدة أيضاً إذا حول فرد أرضه الخراجية إلى مسكن فانه يؤدى عليه الخراج مثله مثل الأرض سواء بسواء .

ويستحق الخراج مرة كل عام حتى ولو كانت الأرض تنتج أكثر من محصول في السنة . ومنشأ هذه القاعدة سنّة عمر ، إذ كان يجبي الخراج مرة في العام من جهة ، وإلى أن الأرض تنتج بوجهٍ عام محصولاً واحداً في السنة ، والقاعدة تستخلص من الحالات العامة لا الخاصة

ومن الجدير بالذكر ان هذه القاعدة يجوز تطبيقها في حالة الخراج الثابت (الوظيفة) أما الخراج النسبي فهو كالعشر ، تجبى الضريبة كلما نضج المحصول(١) .

---

(١) ترى الحنفية أن الارض الخاضعة للخراج لا يجوز أن يؤدى عليها العشر بأي حال من الاحوال في حين تجيز المالكية والشافعية اجتماع الضريبتين

ا — اسقاط الخراج : يسقط الخراج إذا ما هلك جميع المحصول نتيجة لنوازل طبيعية لا يمكن تلافيها كانخساف الارض والبرد القارس والحر اللافح .. الخ . ويبقى الخراج قائماً إذا هلك المحصول نتيجة لأحداث يمكن تلافيها كالطيور الجارحة أو اذا هلك بعد حصاده . ويرى بعض الكتّاب جواز رفع الضريبة إذا هلك جميع المحصول ولم يكن ثمة متسع لزرع محصول آخر قبل انقضاء السنة .

وإذا هلك جزء من المحصول فحسب ، فالضريبة بتمامها واجبة الأداء فاذا كان الباقي يعادل نصف الخراج فيؤخذ نصف المقدار الموجود من المحصول ولا اعتبار للمقدار إذا كان الجزء الباقي أقل من الخراج . وكثير من كتّاب الفقه الحنفي يرون أن أقوم ما يتبع في هذا السبيل أن يطرح من المحصول قبل أي شيء آخر نفقات الزارع ثم يتبع ما سبق بيانه .

ويعللون اسقاط الضريبة في حالة هلاك المحصول بقولهم إن المزارع جدير بالعون والمساعدة وأنه إذا لم تعاونه الدولة فقد يؤدي هذا الى هلاكه وفي هذا ما فيه من الخسارة التي تعود بالنقص في حصيلة الجباية آخر الأمر ، يضاف الى ذلك أنه مما يؤثر عن ملوك الفرس انهم كانوا في حالة هلاك المحصول يمنحون أصحاب الأراضي المنكوبة النفقات التي بذلوها في زرع المحصول فتجب مساعدة الزراع — من باب أولى — في الاسلام . فان لم يكن يمنحهم ما أنفقوه فلا أقل من اسقاط الضريبة المفروضة على الأرض . هذا ومن قواعد الخراج انه لا يستحق إلاّ اذا توفر جني فائدة من الارض والفائدة في حالتنا هذه معدومة .

ب — انتقال الملكية وأثره في اداء الضريبة : إذا ما باع صاحب الأرض أرضه خلال السنة فان الخراج يستحق على المشتري اذا كان فى العام فسحة لزرع الأرض وإلاّ استحق الخراج على البائع . بيد أن هذه القاعدة تجوز اذا بيعت الارض وهي خالية من الزرع وإذا بيعت الارض مزروعة وعليها محصولها قبل نضجه فالخراج يستحق على المشتري بداهة ، وبالعكس اذا نضج الزرع وحصد فتعامل الارض كما لو كانت خالية من الزرع . وان انتقلت ملكية الارض مراراً ولو لم تبق في حوزة مالك أكثر من ثلاثة شهور فلا يستحق الخراج على أي من البائعين . ويحدد بعض الفقهاء المدة الكافية للزراعة بثلاثة أشهر وهي المدة الكافية لزراعة القمح والشعير ويتخذون هذه المدة أساساً لتقدير مدد المحاصيل الأخرى .

والخراج النسبي كالخراج الثابت فيما يتعلق بالاستملاك ، ولكنه كالعشر في جميع الوجوه الأخرى . وينتج عن ذلك أن كل محصول يدخل في نطاق نظام العشر يجوز اخضاعه كذلك لنظام الخراج النسبي ، وهو كالعشر كذلك لا يستحق كلما أنضجت الأرض محصولاً . كما أن الضريبة تسقط إذا ما هلك المحصول ولو كان بعد الحصاد الى غير ذلك من القواعد الخاصة بالعشر

والقاعدة أن وجود الدين لا يبرّر اعفاء الأرض من الخراج. ومن ثمّ فان ديناً خراجيًا من أي نوع لا ينقضي بموت صاحب الارض ولكنه يجبى من ورثته(١).

ويرى الماوردي (انظر الأحكام السلطانية) ويجاريه في ذلك الشافعي (في كتاب الأم) انه إذا أجرت الأرض الخراجية بمقابل أو بغير مقابل فان الضريبة تجبى من صاحب الارض لا من صاحب الاجارة . ولا يوافق أبو حنيفة على هذا الرأي إذ يرى أن الضريبة تجبى من صاحب الاجارة اذا أعطيت له الارض بدون مقابل وتجبى من صاحب الارض في الحالة الأخرى .

ج — تقسيط الضريبة والاعفاء منها في حالة العجز : يرى أبو حنيفة جباية الخراج مقسطاً بأن يجبى من كل محصول حصته النسبية من خراج العام ، مثال ذلك : اذا كانت هناك أرض تنتج في السنة محصولين متماثلين في الاعتبار وأوقات حصادهما متباينة ، فانه إذا جبيت الضريبة على المحصول الأول فيجب عليه نصفها فحسب ، ويجبى النصف الآخر عند نضج المحصول الثاني . . وهكذا .

واذا عجز أحد الناس عن أداء ما في ذمته من الخراج ، فيمهل حتى تستقيم حاله . ويربط أبو حنيفة استحقاق الخراج بالقدرة على أدائه ، وبالتالي يسقط إذا ما تعذر الأداء . واذا ما تأخر المكلف عن اداء ما في ذمته من الخراج على الرغم من قدرته على الاداء فيحبس حتى يؤديه ، اللهمّ إلاّ اذا وجد لديه مال يقوم باداء ما عليه . وهنا يباع بعض ماله أو كله ويسوى الدين الذي عليه بالمتحصل من ثمن البيع كما يحدث بالنسبة لتسوية المطالب العادية . فاذا لم يكن لدى المدين سوى أرض الخراج فللامام أن يبيع ما يكفي لاداء الدين أو يؤجر الارض ويسوي الدين بالمتحصل من الاجارة ويرد الباقي لصاحب الارض . وللسلطان الاستيلاء على محصول الارض حتى يجبى الخراج .

ويجوز أداء الخراج معجلاً لعام أو عامين . فان حدث بعدئذٍ أن تلف الزرع لسبب من الاسباب ، ردّ الخراج لصاحب الارض . ويجوز أن يبقى محسوباً كخراج للسنة التالية .

واذا جبى العصاة أو الخوارج الخراج فليس للامام جبايته ثانية اذا ما استعاد سلطانه على المكلفين ، إذ أن مبدأ الضريبة يقوم على الحماية .

د — لا تقبل في الاداء سوى العملة الفضية أو الذهبية التي لم يدخلها غش أي التي لم

---

(١) ورد في المبسوط ان الخراج يسقط عند موت صاحب الارض قبل حلول موعد جبايته ولا يجبى من ورثته ، مطبقاً في ذلك قاعدة خراج الرؤوس (الجزية) ويفسر ذلك بأن خراج الارض فيه معنى الاخضاع ، هذا ولا تجوز جبايته من الورثة فرغماً عن تملكهم الارض لا يمكنهم زراعتها .

يدخل في تركيبهـا معدن أقل في القيمة . وينتج عن هذه القاعدة انه لا تقبل سوى العملة الموسومة بخاتم السلطان . ويتفرّع عن ذلك عدم جواز الأداء بالسبائك إذ لا يمكن القطع بصحتها إلاّ بالصهر . ولا يجوز التشبث بطلب الاداء بعملة معينة وإلاّ عدّ هذا تعسفاً . ولا يقبل الأداء بالدراهم والدنانير المكسورة (أي التي أصابها التحات الشديد) .

واذا كان الخراج نسبيًّا فكل عيار يصلح لهذا الغرض . واذا كان ثابتاً فقد اختلف الفقهاء في تعيين الخراج . فورد في العالمكيرية مثلاً أن المكيال الواجب هو الصاع .

أما الماوردي فيرى انه إذا جبي الخراج من ناحيـة لأول مرة فيستخدم مكيال هذه الناحية أساساً للجباية .

أما عن مسح الارض فالمقيـاس الشائع هو الجريب ويساوي ٣٦٠٠ ذراع والذراع ويساوي سبع قبضات . ويستحسن بعض الكتّـاب استخدام المقياس الشائع في الناحية المجبي منها الخراج .

وعند الاختلاف في نوع الارض « عشرية أو خراجية » فيرجع الى مسجلي الديوان الذين يجب أن يكونوا من أهل التقوى والورع وأهلاً للثقة . وجباة الخراج كجباة الزكاة يتناولون مرتباتهم من متحصلات الخراج . وهذا يصدق أيضاً على المسّاح

***

٥ — ارتفاع الخراج

يراد بهذا الاصطلاح في المالية العامة الاسلامية مقدار المتحصل من ضريبـة الخراج سنويًّا ، وهذا أمر صعب تقديره ، فقد خلط أكثر المؤرخين العرب بين الخراج وبين ضرائب أخرى ، فكثيراً ما كانوا يجمعون الجزية والخراج أو الخراج والعشور . . الخ تحت اسم الخراج .

واستكمالاً للبحث أذكر أمثلة من جباية الأعمال في الدولة الاسلامية :

فالسـواد (أي العراق) بلغ ارتفـاع خراجه في أيام عمر بن الخطاب سـنة ٢٠ ه ١٢٠٬٠٠٠٬٠٠٠ درهم ، وفي أيام عبيد الله بن زياد سنة ٦٢ه ١٣٥٬٠٠٠٬٠٠٠ درهم ، وفي أيام الحجاج بن يوسف سنة ٨٥ ه ١٨٨٬٠٠٠٬٠٠٠ درهم ، وجباه عمر بن عبد العزيز سنة ١٠٠ ه ١٠٠٬٠٠٠٬٠٠٠ درهم .

أما عن مصر فقد جباها عمرو بن العاص ٩٢٬٠٠٠٬٠٠٠ ديناراً أي ١٨٠٬٠٠٠٬٠٠٠

درهم . ولكن يظهر من عبارة المقريزي أنها مبلغ الجزية وحدها باعتبار دينارين عن كل رجل . واختلفت مقدار جباية مصر بعد ذلك وضعف أمر ماليتها .

أما بلاد الشام فقد بلغ خراجها أيام عبد الملك بن مروان ١ر٧٢٠ر٠٠٠ دينار.

وقد أورد المغفور له سمو الأمير عمر طوسون في مؤلفه مالية مصر صفحة ٣٣٠ جدولاً لخص ما ذكره كتاب العرب عن مقادير الخراج في العصر العربي ، أضع صورة منه أمام القارىء الكريم تتمة للموضوع .

المصادر	الحكام	الخراج بالجنيه المصري
ابن عبد الحكم (فتوح مصر)	عمر بن الخطاب	٨١٦ر٦٦٦
اليعقوبي (البلدان)	« «	٤٢٠ر٠٠٠
البلاذري (فتوح البلدان)	« «	٣ر٣٠٠ر٠٠٠
الكندي (فضائل مصر)	هشام بن عبد الملك	٢ر٤٠٠ر٠٠٠
المقريزي (خططه)	المأمون	٢ر٥٥٤ر٠٠٠
ابن وصيف شاه (نشق الأزهار)	احمد بن طولون	٢ر٥٨٠ر٠٠٠
« « «	المعتز بالله	٤٨٠ر٠٠٠
المقريزي	الأخشيد محمد	١ر٢٠٠ر٠٠٠
ابن حوقل (المسالك والممالك)	المعز لدين الله	١ر٩٢٠ر٠٠٠
ابو صالح الارمني (الكنائس)	المستنصر بالله	١ر٨٧٢ر٠٠٠
المقريزي	صلاح الدين الأيوبي	٢ر٧٩١ر٠٠٠
ابن الجيعان	حسام الدين لوجين	٦ر٤٨٦ر٩٥٠
«	الناصر محمد	٥ر٦٥٦ر٩٧٣

اما خراج الدولة الاسلامية فقد أورد العلامة ابن خلدون قائمة يمكن تقسيمها الى قسمين : قسم يشمل جباية أقاليم المشرق وعملتها الأساسية الفضة ووحدتها الدرهم الفضي . والقسم الآخر يشمل جباية أقاليم المغرب وعملتها الأساسية الذهب ووحدتها الدينار الذهبي (١)

---

(١) مقدمة ابن خلدون صفحة ٥٤ الفصل الثامن عشر «في ان آثار الدولة كلها على نسبة قوتها وأصلها»

الاقليم	الجباية من الدراهم والدنانير	الجباية من العروض
	درهم	
السواد	٢٧ر٨٠٠ر٠٠٠	٢٠٠ حلة نجرانية
		٢٤٠ رطلاً من طين الختم
كسكر	١١ر٦٠٠ر٠٠٠	
كولار دجلة	٢٠ر٨٠٠ر٠٠٠	
حلوان	٤ر٨٠٠ر٠٠٠	
الأهواز	٢٥ر٠٠٠ر٠٠٠	٣٠٠٠٠ رطل سكر
		٣٠٠٠٠ قارورة ماء ورد
فارس	٢٧ر٠٠٠ر٠٠٠	٢٠٠٠٠ رطل زيت أسود
كرمان	٤ر٢٠٠و٠٠٠	٥٠٠ ثوب متاع يماني
		٢٠٠٠٠ رطل تمر
مكران	٤٠٠ر٠٠٠	
السند وما يليه	١١ر٥٠٠ر٠٠٠	١٥٠ رطل عود هندي
سجستان	٤ر٠٠٠ر٠٠٠	٣٠٠ ثوب معين
		٢٠ رطل من الفانيد
		٢٠٠٠ نقرة فضة
		٤٠٠٠ برزون
خراسان	٢٨ر٠٠٠ر٠٠٠	١٠٠٠ رأس رقيق
		٢٠٠٠٠ ثوب متاع
		٣٠٠٠٠ رطل اهليلج
جرجان	١٢ر٠٠٠ر٠٠٠	١٠٠٠ شقة ابريسم
قومس	١ر٥٠٠ر٠٠٠	١٠٠٠ نقرة فضة
		٦٠٠ قطعة فرش طبري
طبرستان والريان	٦٣ر٠٠ر٠٠٠	٢٠٠ كساء و ٥٠ ثوباً
		٣٠٠ منديل و ٢٠٠ جام
الري	١٢ر٠٠٠ر٠٠٠	٢٠٠٠٠ رطل عسل
همدان	١١ر٣٠٠ر٠٠٠	١٠٠٠ رب الرمانين
ماها البصرة والكوفة	١٠ر٧٠٠ر٠٠٠	

الاقليم	الجباية من الدراهم والدنانير	الجباية من العروض
	من الدراهم	
ماسبذان والريان	٤ر٠٠٠ر٠٠٠	
شهرزور	٦ر٧٠٠ر٠٠٠	
الموصل وما يليها	٢٤ر٠٠٠ر٠٠٠	٢٠٠٠٠ رطل عسل
اذربيجان	٤ر٠٠٠ر٠٠٠	١٠٠٠ رأس رقيق ١٢٠٠٠ زق عسل
الجزيرة وما يليها من اعمال الفرات	٣٤ر٠٠٠ر٠٠٠	١٠ بزاة ٢٠ كساء ٢٠ قسط محفور ٥٣٠ رطل رقم ١٠٠٠٠ رطل من المسايح السرماهي
أرمنية	١٣ر٠٠٠ر٠٠٠	١٠٠٠٠ رطل صونج ٢٠٠ بغل ٣٠ مهراً
برقة	١ر٠٠٠ر٠٠٠	
افريقية	١٣ر٠٠٠ر٠٠٠	١٢٠ بساط
	من الدنانير	
قنسرين	٤٠٠ر٠٠٠	١٠٠٠ حمل زيت
دمشق	٤٢٠ر٠٠٠	
الأردن	٩٧ر٠٠٠	
فلسطين	٣١٠ر٠٠٠	٣٠٠٠٠٠ رطل زيت
مصر	٢ر١٢٠ر٠٠٠	
اليمن	٣٧٠ر٠٠٠	سوى المتاع الذي لم يذكر
الحجاز	٣٠٠ر٠٠٠	
	٤ر٨١٧ر٠٠٠	ديناراً وتساوى ٧٢ر٢٥٥ر٠٠٠ درهم باعتبار الدينار ١٥ درهماً وهو تقديره في ذلك العصر
فيكون المجموع بالدراهم	٧٢ر٢٥٥ر٠٠٠	
يضاف اليه جباية الاقاليم المذكورة أعلاه	٣١٨ر٦٠٠ر٠٠٠	
الجملة	٣٩٠ر٨٥٥ر٠٠٠	درهم

فمجموع الجباية الواردة في هذه القائمة ٤٠٠ مليون درهم تقريباً عدا الأموال والغلات مما لا نعلم حقيقة قيمته . وهذا الرقم يكاد يماثل الرقم الذي أورده قدامه بن جعفر في كتابه « الخراج وصنعة الكتابة » عن الخراج في عصر المعتصم إذ بلغت الجباية في سنة من سني هذا العصر ٣٥٠ و٢٩١ و ٣٨٨ درهماً مع وجوب ملاحظة الفارق بين عصر المأمون الزاهر وعصر المعتصم الذي ابتدأت الدولة فيه في التقهقر والاضمحلال . والواقع ليس هذا الرقم غريباً على دولة كانت تشمل معظم العالم المتمدين في ذلك الوقت

٦ — ديوان الخراج

لما فتح المسلمون الشام ومصر والعراق وغيرها لم يغيروا شيئاً في دواوين هذه البلاد بل أبقوها على ما كانت عليه . فكان الديوان في مصر يكتب بالقبطية وفي الشام بالرومية وفي العراق بالفارسية ، كما ظلَّ كتَّاب الديوان من أهل البلاد ، وكان العرب يراقبون أعمال الدواوين ويستولون على جبايتها فحسب . ولما آل الحكم لبني أمية وظهر في المسلمين مهرة في الكتابة ونابغون في الحساب فابتدأ نقل الديوان الى العربية وحدث هذا لأول مرة في أيام الحجاج إذ أمر صالح بن عبد الرحمن مولى بني تميم بنقل الديوان من الفارسية إلى العربية ، وأما ديوان الشام فنقل في عهد هشام بن عبد الملك نقله ابو ثابت سليمان بن سعد مولى حسين وكان على كتابة الرسائل أيام عبد الملك (١) وتمَّ نقل ديوان مصر على عهد الوليد بن عبد الملك سنة ٨٧ هـ .

وأما الحجاز فقد كان ديوانه في المدينة على ما وضعه عمر بن الخطاب

وكان الخلفاء يتولون النظر في أمر الخراج ويراقبون سير الجباية ، فلما أفضى الأمر إلى الدولة العباسية وضعوا ديواناً مركزيًّا للخراج يشمل ما تحته من دواوين الأعمال وضعه السفاح وعهد بامره الى خالد بن برمك . وكان في جملة تصرفه فيها انهم كانوا يضمنون مبلغ الخراج لأولادهم وأهلهم (أي يعطونه التزاماً) . وأصبح ديوان الخراج في أيدي الوزراء مثل غيره من الدواوين حتى اذا ضعفت الدولة العباسية وصارت أمورها إلى الأمراء أبطلت الدواوين في أيام الراضي بالله (٢) .

فؤاد محمد شبل
الملحق الصحافي للمفوضية المصرية بموسكو

---

(١) مقدمة ابن خلدون صفحة ٢١٢

(٢) تاريخ التمدن الاسلامي الجزء الاول صفحة ٢١٢ ومقدمة ابن خلدون صفحة ٢١٢

عالم المجهول أيضا

الوجود الذي نعرفه أو نعرف شيئاً عنه أو أشياء ، هو الوجود المادي . نعرفه مباشرةً بواسطة ظاهراته التي تؤثر في مشاعرنا كما هو معلوم . ونعرفه أيضاً بواسطة فعله في حواسنا الباطنة . نعرف ان الحياة موجودة لأنها من أفعال المادة الكيمياوية ونرى من ظاهراتها الولادة والنمو والموت . ونعرف ان العقل موجود لأنه من فعل الخليات الدماغية وهي مادية وظاهراته القوى العقلية . ونعرف ان الحب والشجاعة والفضيلة الخ موجودة لأنها من أفعال العقل الذي هو من آثار الخليات الدماغية التي هي من مركبات المادة الكيمياوية . فكل ما نعرفه إنما هو ظاهرات المادة المختلفة التي تدلنا على ان هناك أسراراً عرفناها بعد ان كنا نجهلها وأسراراً لا نزال نجهلها ونؤمل أننا سنعرفها . أعني أن هناك أسراراً في الطبيعة نجهلها ولكن لها ظاهرات تدل عليها ونؤمل اننا سنكتشفها كما كشفنا غيرها . ولولا الظاهرات لما عرفنا أن هناك أسراراً .

مثال ذلك : كنا نجهل سراً سميناه الألفة الكيمية وهو سر اتحاد عنصر دون آخر أو اتحاد عنصر بعنصر أقوى من اتحاده بعنصر آخر. فعبارة الألفة الكيمياوية مبهمة لم تفسر السر . ما هي إلا تسمية للسر الغامض . فلما اكتشفت النظرية الكهربية ، (الالكترونية) انكشف ذلك السر واتضح ذلك الغامض

الجاذبية سر لا يزال غامضاً . وما اكتشف نيوتن الا قانونها ومستلزماته . ولكن الظاهرات التي تدل على وجودها عديدة

فاذا كان المراد بعالم المجهول عالم الأسرار الغامضة التي تدل على وجودها ظاهرات المادة أو ظاهرات مفاعيلها، فلا بأس أن تسمى هذه الأسرار الغامضة عالم المجهول . ولكن أليس الأفضل أن نسميها العالم الغامض أو عالم الغوامض

ولكن اذا كان ثمت عالم وهمي لا ظاهرات له إلا أخيلة في أدمغة فريق من الناس السذج الذين تراءت لهم رؤى لمرض في أدمغتهم أو لهوس في عقولهم كعالم الجن مثلاً ، فهذا عالم

موهوم غير موجود في الطبيعة بتاتاً ولا وراء الطبيعة . ومهما ادعى المأخوذون به من الظاهرات التي يستدلون بها عليه فلا يثبت التحقيق والبحث والتحري ، الا أنه عالم وهمي موجود في عقولهم فقط

ومثله عالم الأرواح . فما الاعتقاد به الاّ تقليد موروث منذ قدم الانسان . ومنشؤه اختراعات المخيلة في أحلام المنام أو أحلام اليقظة . ومهما ادعى الطوافون في هذا العالم من رؤية الأرواح واستحضارها وظهورها واتصالها بعالمنا وانتقالها من جوّ الى جوّ ومن زمان إلى زمان فعند التحقيق نجد ان هذه الدعاوى ليست الا أوهاماً نشأت في عقول ذويها لسقم في ناحيتي التصور والاستنتاج فيها . وقد تكون أحياناً شعوذة ممن يدّعيها تجوز على عقول المؤمنين بها

فهذا عالم مجهول لا ظاهرات له تدل على وجوده الاّ تلك الأوهام الخدَّاعة ولا وجود له في الطبيعة ولا وراء الطبيعة

فالمجهول في عالم المادة الذي تدل على وجوده ظاهرات صادرة منه يحسن أن تسميه «عالم الغامض» لأنه يحتمل ان يكتشف سرّه يوماً ما فينتقل من عالم الغموض الى عالم المعرفة. من ذلك ان أسلافنا القدماء كانوا يرون من ظاهرات الطبيعة ان قبة السماء كلها تدور من الشرق الى الغرب حول الأرض . وما زالوا يأخذون بهذه الظاهرة على علاتها الى أن اكتشفوا أن الأرض لا السماء تدور على محورها وثبتت لهم هذه الحقيقة بالبراهين التي لا تقبل الشك.

وقس على هذا مئات والوفاً من ظاهرات الغوامض التي اكتشف الانسان أسرارها فأصبحت في عوالم المعلومات .

هذه العوالم الغامضة لا توجد الاّ في صميم الطبيعة المادية . ولا ريب انها كثيرة . واذا كشفنا سرًّا منها بدت لنا اسرار أخرى . ولكن ما يُزعَم من عوالم المجهول في ما وراء الطبيعة، لا وجود له اذ لا ظاهرات تدل عليه

فنرجو ممن يزعمون وجود الجن والأرواح وغيرها ان يرشدونا الى الظاهرات التي تدل عليها لكي نبحث عن أسرارها ، فان لم تكن لها ظاهرات فليست موجودة ، لأن مشاعرنا وحواسنا هي مصنوعات الظاهرات . وبغير تأثير الظاهرات يستحيل أن نعرف شيئاً . ولا نستطيع أن نزعم وجوداً لا ظاهرات له فعالم المجهول هذا لا وجود له

نقولا الحداد

المباراة والتعاون .

الصراع بينهما وأيهما يسود

مشكلة العصر الحاضر تتشكل في صور مختلفة . فهي أخلاقية أو سياسية أو اجتماعية . ولكنها في الأساس اقتصادية

فالنظام الاقتصادي هو الذي يحيل الأمم الزراعية أمماً صناعية ، فيحدث الغنى الفاحش والفقر الفاحش . ويحدث التعطل . وتحدث الحرب . ويحدث الانقلاب الأخلاقي بل الروحي في الشباب، حين ينتقلون من الجو الزراعي ، جو القدر ، جو الاستسلام ، جو الجمود إلى الجو الصناعي ، جو الاستقلال الروحي ، جو الاختراع ، جو التغير

ولكن إذا كانت الأمم الصناعية هي أمم التجدد والاختراع ، فهي أيضاً أمم الحرب . فقد ورثت هذه الأمم نظام المباراة أو الامتلاك الفردي من العصر الزراعي واستبقته . فنقلت أخلاقاً زراعية الى مجتمع صناعي . مع إن كل ما في هذا المجتمع، يصرخ بالتعاون

والمباراة ممكنة أو لا يشق تحملها في مجتمع زراعي بدائي . ولكنها قاتلة في مجتمع صناعي يعيش بآلات القوة ، إذ هي تثمر الفاقة والاستعمار والمبادئ الامبراطورية والحرب

ولا يمكن لأمة تعيش على مبدأ المباراة الاقتصادية أن تجحد الحرب . لأن المباراة من حيث هي أسلوب لكسب العيش وجمع الثروة ، تنتهي إلى قمتها وتتبلور في أقصى منطقها ونهاية تطورها الى الحرب

والعالم العصري يعيش في مجتمع يدعو الأفراد إلى المباراة ويدعو الأمم إلى المباراة .. فالمباراة منطقه وأخلاقه بل فضيلته . والفاشية والنازية هما المعقل الأخير لنظام المباراة وكراهة التعاون . هما الدعوة إلى لمّ الشعث لانقاذ واستبقاء نظام المباراة والسعي الحر للكسب بين الأفراد والأمم . وكلتاهما تتغنى بفضائل الحرب

ولكن الأمم الديمقراطية أيضاً تتغنى بفضائل الحرب . لأن الحرب جزء من منطق اقتصادها . فقد ألقى السر آرثر كيث خطبة في جامعة أبردين سنة ١٩٣١ قال فيها أشياء كثيرة . منها قوله :« تصون الطبيعة البستان البشري بالتقليم . والحرب هي أداة هذا التقليم. ولا يسعنا أن نستغني عن خدمتها »

وأقرب الحروب الينا هي الحرب الكبرى التي شبت عام ١٩١٤ والتي كانت ترجع إلى مباراة اقتصادية بين المانيا من ناحية وبريطانيا وفرنسا من ناحية أخرى . والحرب القائمة الآن هي إضماراً أو تصريحاً ترجع أيضاً الى مباراة اقتصادية بين الامم التي تسمي نفسها « محرومة » وهي اليابان والمانيا وايطاليا ، وبين الامم الاخرى التي تملك المستعمرات والمواد الخامة والاسواق وهي فرنسا وهولندا وبريطانيا والولايات المتحدة . وقد انتهت الامم التي تسمي نفسها « محرومة » الى الفاشية التي تحمي مبدأ المباراة لكي تحمي الحرب التي هي منطق المباراة وتبلورها ، ثم تستخدم الحرب لنيل أغراضها.

ويجب ألاّ نفكر في قيمة هذه الادعاءات التي ادعتها الامم « المحرومة » لان الزعم هنا كالوهم وكالحقيقة . فالثري الذي يملك مليون جنيه قد ينتحر لانه خسر نصف هذا المليون . مع ان ما تبقى له يكفي الف نفس . ولن تستطيع اقناعه بسهولة بشأن هذا الجنون الذي يدفعه الى الانتحار .

ما هو السبب الاقتصادي للحرب القائمة ؟

هو أزمة ١٩٢٩ . هو الاختناق الاقتصادي الذي شعرت به الامم عقب هذه الازمة أو توهمته . ويجب أن أكرر هنا انه يجب ألاّ نفصل بين الشعور الحقيقي وبين التوهم الكاذب . والواقع أن أزمة ١٩٢٩ كانت برهان الرخاء واليسر اللذين لم تبلغهما البشرية قط . لأن الانتاج الزراعي والصناعي زاد وفاض حتى احتاج الامر الى احراق أو اتلاف بعض المنتجات . ولو ان العالم كان في نظام اشتراكي لصفق وهلل لهذا الخير العميم . ولكن نظام المباراة يمنع الآن من زيادة الاستهلاك مع انه قد زاد الانتاج الى حد الحاجة الى احراق بعض المنتجات أو اتلافها .

في عام ١٩٢٩ ابتدأت الازمة في أعظم الامم في الرقي الصناعي وهي الولايات المتحدة حيث مبدأ المباراة ديانة محترمة . ديانة تقول بتنازع البقاء التطبيقي . ثم امتدت الازمة حتى أصابت سائر العالم . وعندئذٍ رأينا اليابان تستولى على منشوريا عام ١٩٣١ ، وايطاليا على الحبشة عام ١٩٣٥ ، واليابان على الصين عام ١٩٣٧ ، والمانيا على النمسا عام ١٩٣٨ ، ثم المانيا على السوديت عام ١٩٣٨ .

وفي عام ١٩٣٩ نشبت الحرب الحاضرة نشوباً رسمياً . أما النشوب الحقيقي فكان في عام ١٩٣١ عند ما أغارت اليابان على منشوريا .

وقد كانت هناك « عصبة الامم » لمنع هذه الحروب أو هذه الاعتداءات . ولكن منطق المباراة في العالم كان أقوى من منطق عصبة الامم . المباراة معيشة وتصرف في المعاملة وأسلوب في الحياة ، تناقض جميعها عظات عصبة الامم . والاخلاق أي أخلاق السلم التي كانت

عصبة الأمم تريد سنها للعالم كانت تنكرها المعيشة أي معيشة الحرب الاقتصادية التي يمارسها العالم أفراداً وأمماً

ومن هنا سكوت العالم على اعتداء اليابانيين والايطاليين والألمان على الأقطار التي استولوا عليها. بل من هنا سكوت الدول الديمقراطية على اعتداء المانيا وايطاليا على اسبانيا الجمهورية

ففي اسبانيا كدنا نرى حكومة قائمة أوشكت أن تقول « لا » لمبدأ المباراة العام في العالم. وأن تستبدل به تعاوناً أو مساواة اقتصادية. ثم رأينا ثائراً على هذه الحكومة في شخص فرانكو. فهبت الفاشية والنازية تساعدان هذا الثائر لاستبقاء مبدأ المباراة ومكافحة مبدأ التعاون. وسكتت الدول الديمقراطية.

فلماذا سكتت الدول الديمقراطية التي تؤمن بالوطنية على اعتداء الفاشية والنازية على أسبانيا؟

سكتت لأنها وجدت نفسها بين عاملين:

عامل الدفاع عن الوطنية واحترام الحدود الجغرافية.

وعامل الدفاع عن مبدأ المباراة أي نظام رأس المال.

وتغلب العامل الثاني على العامل الأول. فقد كانت الحروب تثار من أمة على أمة. حروباً وطنية. ولكن منذ أكثر من عشرين سنة بدأت كل أمة تشعر بحرب أهلية صامتة أو صاخبة هي حرب الطبقات. وأصبح كل فرد ينقسمه ولاءان ولاء للوطن. وولاء للطبقة التي ينتسب اليها.

وهنا قليل من التفسير. فان الحضارة القائمة في عصرنا ثمرة ثورتين هما:

١ — الثورة الفرنسية التي تقول بالأخاء والمساواة والحرية.

٢ — والثورة الصناعية التي تقول بالتفاوت الاقتصادي.

الثورتان متناقضتان. واحدة للأخاء. وأخرى للصراع. واحدة للحرية السياسية. وأخرى للاستعباد الاقتصادي.

والنازية والفاشية بل أحياناً الديمقراطية حين ترى هذا التناقض بين الثورتين تصرح بكراهتها لمبادىء الثورة الفرنسية. وذلك حين ترى ان نية الشعوب قد انعقدت على تنفيذ المبادىء الفرنسية وعلى أن يعيشوا في أخاء ومساواة وحرية.

ولكن كيف يمكن أخاء ومساواة وحرية إذا كانت الأمم تعيش بالمباراة؟ برأس المال الذي يحارب رأس مال آخر في سوق قريبة أم نائية؟ أو برأس مال يستثمر في صناعة تحتاج الى المواد الخامة الرخيصة والى رق الاستعمار والى استغلال الشعوب المتأخرة؟

كانت عصبة الأمم قمة ضئيلة من التعاون فوق هرم ضخم من المباراة.

انظر مثلاً الى هذه الكلمة التي أنقلها عن الدكتور ماكس سالفادوري من صفحة ٢٤٦

من عدد فبراير ١٩٤٠ من مجلة هاربر حيث يقول في فضائل الاستعمار :

« ان الرقي الاجتماعي بين الوطنيين سيكون له أثر سيء في استعمار البيض لهم . إذ كلما ارتفعت حضارة الوطنيين زادت قدرتهم على مزاحمة الاوربيين في ألوان من النشاط يعيش بها هؤلاء الاوربيون » اه .

فيجب لهذا السبب أن يمنع الوطنيون من الصناعات الكاسبة وأن يقتصروا على الزراعة. فنحن نرى هنا مبدأ بل ديانة التفاوت البشري، ديانة السادة والعبيد، ديانة الأغنياء والفقراء، ديانة المباراة للكسب ثم للحرب، ديانة تنازع البقاء بأسلحة الحضارة وليس بأسلحة الطبيعة .

قبل أشهر قرأت في إحدى المجلات الدينية المسيحية مقالاً ينعي فيه كاتبه على أبناء العصر الحاضر ايمانهم بنظرية داروين . وهو يرى أن هذا الايمان هو الذي انتهى منطقه الى الحرب. وليس شك في أن الحرب هي المسرح الأكبر لتنازع البقاء. ولكن المتأمل لهذه النظرية — نظرية تنازع البقاء — وكيف وصل اليها داروين والعصر الذي عاش فيه وهو العصر الذهبي للمباراة الاقتصادية (ظهر كتاب أصل الأنواع سنة ١٨٥٩) لا يتمالك من الشعور بأن داروين قد تأثر بالمجتمع التجاري الصناعي فنقل قواعده ومبادئه الى الطبيعة ونظر الى وحشية الغابة من خلال حضارة مانشستر . وقد نظر هوكسلي بعين داروين حين قال : « الطبيعة حمراء بين الناب والمخلب » . ولكن هوكسلي كان شهماً وكافراً معاً . فقال أيضاً في شهامة رائعة وان تكن عقيمة « يجب ان نتحدى سيرة الكون » أي على فرض أن الكون يسير على مبدأ الناب والمخلب والطبيعة الحمراء بالدم، فاننا نستطيع ان نتحدى هذه الوحشية ونسير على مبدأ الحب والتعاون والاخاء .

ولكن الواقع اننا لا نحتاج الى هذا التحدى . فان في الطبيعة من التعاون والحب أكثر جداً مما فيها من التنازع والقتال . كما أثبت ذلك كروبتكين وجديس وكثيرون غيرهما .

***

وضعت عشرات بل مئات الكتب هذه السنوات الأخيرة بل هذه الأشهر الأخيرة عن الوسائل التي يمكن ان تلغى بها الحروب ويعمم بها السلام. والمقترحات كثيرة ولكنها تتلخص فيما يلي :

(١) احياء عصبة الامم (٢) ايجاد ضمانات جديدة للحرية الانسانية (٣) ايجاد اتحاد اوربي أو عالمي (٤) الاشتراكية .

***

فاما عصبة الأمم فقد أثبتت انها أداة عرجاء لمنع الحروب. لأنها قصدت الى تحقيق السلام على الورق . ولم تبال الأسس الاقتصادية التي يبنى عليها المجتمع . فكانت الدعوة الى الاخاء في جنيف تصطدم بمذهب المباراة في الصين واسبانيا وأفريقيا وأوربا . تعاون

بالكلام على القمة الصغيرة التي تطير بأضعف ريح وتنازع راسخ بالعمل في الاساس . والآن وقد أوصدت أبوابها نشعر انها ذكرى أسيفة وحلم شريف . ومنا من يقول انها كانت هيئة اخلاقية تقول هذا خطأ . ولكنها تعجز عن تصحيحه ، لأنها كانت محرومة من أداة التنفيذ إذ لم يكن لها جيش أو طائرات او أسطول . ولكن لنفرض انه كانت لها هذه القوات ثم كانت الأمم والأفراد تسير على مذهب المباراة الذي كان لا بد أن يبعث التحاسد بين الأمم كما يبعث التحاسد بين الأفراد . ألا يكون التسلح السري كما حدث في ألمانيا — ثم الانشقاق ثم الحرب ؟

ولا ينكر أنه إذا ألفت عصبة جديدة على مبادىء نزيهة بحيث لا يجوز لأحدى الدول أن تستغلها وبحيث تصير لها قوة حربية كبيرة — لا ينكر انها تستطيع ان تمنع الحروب او تحد منها . ولكن من منا يحب استقراراً للعالم على حاله الحاضرة من المظالم الاستعمارية والمالية ؟ لو أن هذه العصبة . التي ماتت كانت مسلحة ، لاستخدم سلاحها لضغط بعض الأمم المتأخرة وابقائها في التأخر ومنعها عن الاستقلال .

أما إيجاد ضمانات جديدة كأنها دستور انساني جديد فهذا ما يقول به الكاتب الانجليزي ولز وأنا ألخص هنا هذا الدستور الذي سماه «حقوق الانسان» في جميع أنحاء العالم :

١ — حق العمل الذي يختاره الانسان ويعيش به .

٢ — حق الفراغ بتحديد ساعات العمل مع تزويد العامل بأجر الفراغ الذي يمكنه من الاستمتاع به .

٣ — حق العاملين في الانتفاع بكامل انتاجهم .

٤ — حق الصحة الذهنية والجسمية باستعمال جميع الوسائل العلاجية .

٥ — حق المرأة في أن تقوم بأمومتها على أحسن الوجوه .

٦ — حق التعليم الحر للجنسين لجميع الشعوب بالمجان .

٧ — حق تزويد العائلة فوراً عند موت عائلها بما يقيتها .

٨ — حق المعاش قبل الشيخوخة .

٩ — حق الحرية في الخطاب والاجتماع والصحافة وحرية المظاهرات

١٠ — حق الانتقاد لجميع فروع الحكومة والدعاية للاصلاح .

١١ — حق الانتخاب عند بلوغ الثامنة عشرة بدون التمييز بين الجنسين .

١٢ — حرية الشخص ومراسلاته .

وهذه « لوحة » جديدة من حقوق الانسان تتفق وحال العالم في القرن العشرين . وقد سبقتها لوحات أخرى بحقوق أخرى . وولز بالطبع لا ينسى انه يجب ايجاد هيئة لتنفيذها .

وهو أعظم كاتب في عصرنا ينظر النظرة العالمية . وهو بريطاني يدعو الى الغاء الامبراطورية البريطانية . وجمهوري يطلب الغاء العرش البريطاني . وهو حين ينص في المادة الثالثة من هذه الحقوق على «حق العاملين في الانتفاع بكامل انتاجهم» انما ينص في الواقع على الاشتراكية.

وكان يكفي هـذا النص لايجاد عالم جديد يحتوي عفواً ، وبلا تعيين ، جميع الحقوق الأخرى . ولذلك ليس لي اعتراض على هذه المقترحات . وكل ما أستطيع أن أقوله أنهُ كان يجب تأكيد هذه المادة الثالثة وابرازها أكثر من سائر المواد .

***

وأما ايجاد اتحاد أوربي أو اتحاد ديمقراطيات العـالم في القارات الخمس فمن الحلول التي كثر الكلام أو اللغط فيها حديثاً. ودعاة الاتحاد يذكرون على الدوام « الاتحاد السويسري » باعتباره النظام الأمثل حيث نجد أربع لغات ومذهبين بل أكثر من المذاهب الدينية . ومع اختلاف اللغة والمذهب يعيش السكان راضين بل مغتبطين باتحادهم .

ولا ينسى دعاة الاتحاد ان الوطنية حديثة في أوربا وانها أي أوربا ، كانت أيام القرون الوسطى في « اتحاد مسيحي » وان الراية الوطنية أو الطوطم الوطني لم يكن له الولاء الذي يؤدي الى الحرب في عصرنا . وهناك من يحس الاختلاف في الأنظمة الحكومية والفكريات الاقتصـادية كاختلاف الاشتراكية السوفيتية من النازية الألمانية واختلافهما معاً ، من الديمقراطية ، فيقول بالاتحاد بين الديمقراطيات فقط . ولـكن اذا صحَّ هـذا الاتحاد فانه عندئذٍ يقسم أوربا معسكرين أو ثلاثة معسكرات . فلا يكون سلام .

وحتى عند ما نتغاضى عن هذه الاختلافات ونعتقد امكان الاتحـاد بين جميع الدول الاوربية يبقى أمامنا هذه الدول الأخرى في القارات الأخرى . بل يبقى أمامنا هذا الشك في بقاء الاستعمار وفي المبادىء الاستعمارية التي يحمل عبئها ويكتوي بنارها الافريقيون والآسيويون . وعندئذٍ يكون تعميم السلام قسراً للاستغلال الاوربي . بل عندئذٍ تصبح الحرب الواجب الاول على كل افريقي أو اسيوي يطلب الحرية .

أما اتحاد العالم كله فمن الاغراض البعيدة التي يمكن تقريبها بايجاد نظام اقتصادي تدريجي يجعل أمم العالم تعتنق فكريات اجتماعية متشابهة لتشابه نظامي الانتاج والتوزيع . وهذا يجرنا الى الحل الوحيد المعقول .

هذا الحل هو التعاون ، أي ان وسائل الانتاج الزراعي والصناعي تصبح ملكاً للشعب بدلاً من أن تكون ملكاً للافراد أو للشركات . وينشأ هذا النظـام كاملاً في الامم الصناعية المتقدمة مثل المانيا وبريطانيا والولايات المتحدة الاميركية . وينشأ متدرجاً في الامم التي لم يدركها العصر الصناعي بآلاته وفكرياته . وعنـدئذٍ يأخذ التعاون في المعاش

مكان المباراة . فتزول الاخلاق التي تولدت من المباراة : أخلاق التفاوت الاقتصادي بين فرد وفرد . بحيث يكسب الواحد في اليوم مقدار ما يكسبه آخر في خمس سنوات . فيكون الحسد والمرض والجهل والجريمة . وتزول أخلاق التفاوت بين أمة وأمة . فلا تكون أمة صناعية سائدة وأمة زراعية خادمة . ويزول التوسع الامبراطوري وخطف الاسواق والمواد الخامة وانشاء الشركات التي يعيش مساهموها في باريس أو بروكسيل لاستغلال العامل الكادح الجائع في جاوة أو سنغال .

لقد نشأنا على أن نقول : « الاقتصاد السياسي » وهو كذلك سياسي بل حربي . لأن الحرب هي السياسة العنيفة . والساسة في عصرنا يفهمون هذا الاقتصاد من حيث انه حركات مالية تجري في عواصم اوربا لخطف الكاوتشوك او البترول أو القطن أو القصدير او النحاس من قطر افريقي أو أسيوي ضعيف يمكن استغلال عماله بعشرين أو ثلاثين مليماً في اليوم . وهذا الاستغلال تقوم به شركات أو حتى أفراد يؤيدهم الاسطول والجيش والطائرات . فهو اقتصاد سياسي لاغش فيه ، وليس فيه شيء من مبادىء الاقتصاد الانساني . وقد عرفت أمم آسيا وأفريقيا ثمرات هذا الاقتصاد المرة . وكلنا يذكر أننا حفرنا قناة السويس بأيدينا بل بأظافرنا ودفنت أجسام آبائنا في طينها ثم لم ننتفع منها بعشر بل بجزء من مئة مما ينتفع به المساهم في رومة أو باريس أو غيرهما .

هذا الاقتصاد السياسي هو اقتصاد الخطف والنهب ، اقتصاد الغنى والفقر ، اقتصاد العامل الجائع والثري المتعطل ، اقتصاد المباراة بين فرد وفرد ، وبين أمة وأمة ، اقتصاد المباراة التي تؤدي في النهاية الى الحرب للاستيلاء على المواد الخامة والأسواق وللاستعمار ، اقتصاد رأس المال الحر ، اقتصاد تنازع البقاء الذي يجب أن تستبدل به الاقتصاد « الانساني » الاقتصاد الذي ينشأ على التعاون ويؤدي في النهاية الى السلم . لأن الآراء والفكريات والعقائد والفلسفات والآداب والمذاهب انما هي ثمرات المعيشة التي نعيشها . فاذا كنا نعيش بالمباراة نتبارى في المدرسة بالامتحانات ، ثم في المجتمع بالاثراء والمناصب والمقامات ، وننشأ على أن يضمر كل منا ان يكون أفضل من غيره ثروة ومقاماً ، فان منطق هذه المعيشة ينتهي الى الحرب التي هي قمة المباراة . بل ان هذه المعيشة قد أوجدت في نفوسنا عواطف تلتذ المباراة وتطلبها كما نرى في سباق الخيل وغيره .

ولكن اذا كنا نعيش بالتعاون فان روح المباراة يموت وتموت معهُ شركات الاستغلال العالمية التي تبعث على الاستعمار وتموت الحرب ويموت هذا التفاوت الذي يجعل بعض الناس يمرضون بكثرة الطعام وبعضاً آخر يموتون بقلته . ويزول التعطل : تعطل الفقراء الذين لا يجدون عملاً ، وتعطل الاغنياء الذين لا يحتاجون الى عمل .

إن أوربا تتشنج بحركات هتلر . وكلنا يتساءل : كيف يهزم هذا الطاغية بعد أن دجج المانيا بل أوربا بالسلاح وبعد أن علم الألمان الفن الدموي للجزارة البشرية حتى ضُروا عليها (١) يُهزم بالقوة الروحية، بريح التعاون التي تهب على أوربا فتدخل المصانع وتهمس في أذن العمال : هنا عصر جديد : مساواة وتعاون وحب ، ومقاطعة أبدية للحرب . هنا شيء يستحق القاء السلاح . هنا اقتصاد انساني، وليس اقتصاداً سياسيًّا يدبره الساسة عن الاستعمار والمواد الخامة والامتيازات

إننا نعيش في أيام تاريخية وضوضاء التاريخ تصخب فوقنا، والحوادث تسير على إيقاع سريع حتى ليرتبك الذهن وتختلط الأشباح . ولذلك نحتاج إلى دقة البصيرة لكي نقرأ المستقبل ونرى الرؤيا الصافية . فالحرب في نشاط . ولكن السياسة في جمود . كأن الساسة يخشون رؤيا المستقبل . وفي إحشاء الذهن الأوربي قوات بركانية تختفي تحت السطح وتنتظر الاشتعال والانفجار . وليس هناك قوة روحية تستطيع بعث هذا الاشتعال والانفجار للخير غير قوة التعاون . وعندئذٍ لا تكون هذه الحرب حشرجة الموت للحضارة بل مخاض الميلاد لانبجاس اجتماعي جديد . واذا وثق العمال في أوربا بأنهم سيجدون التعاون إذا تركوا هتلر وموسوليني ، فانهم لن يبقوا معهما لحظة بل سرعان ما ينفضونهما . ثم يعقد الصلح وسيكون صلح السلام الدائم لأن الفكريات الجديدة ستكون فكريات التعاون والحب والرضى بالمساواة . وقد يقال ان الانتصار الحربي ممكن ، وليس شك في هذا ولكن يجب أن نتساءل : هل الصلح عندئذٍ يكون وعداً أم وعيداً ؟ وهل من البعيد أن تكسب الديمقراطية الحرب ثم تكسب الفاشية الصلح ؟

إن الانتصار الحقيقي هو الانتصار الروحي ، الانتصار الذي ينبع من القلوب ، هو الانتصار الذي ينشأ من الرغبة في الخير وعقد النية على الرضى بالمساواة، والاقلاع عن زهو التاريخ بالاقلاع عن الاستعمار والتوسع وانشاء الشركات التي تنبسط شباكها على الأقطار بل القارات . وهذا الانتصار يحتاج الى تضحيات كبيرة في المال . ولكن مهما كبرت التضحية بالمال ، هي دون التضحية بالدم

لقد وصلنا الى طور الانهيار في النظام الاقتصادي الحاضر، الى نقطة تطورية في التاريخ وقيام الفاشية والنازية هو البرهان على هذا الانهيار الذي كان يتوقاه هتلر وموسوليني بقوة السلاح والديكتاتورية الغاشمة . والعالم قد نضج للعصر الجديد وهو ظامىء اليه . والعصر الجديد هو نظام التعاون في الانتاج والاستهلاك فيمحى الفقر . ومتى محي الفقر زال التحاسد . وزالت الرغبة في الحرب .

سلامه موسى

---

(١) كتب هذا المقال قبل أن تلقي المانيا السلاح

انسان الفِطَحْل

Pithecanthropus erectus.

بحث لغوي علمي

Etym., Pithecanthropus (Gr pithekos = an ape) and (Gr anthropos = man) . erectus, L. = upright, erect. Cass. Lat. Dict. p. 196

الاسم العلمي الأعجمي مكوَّن من كلمتين : الأولى Pithecanthropus وهي مركبة من كلمتين يونانيتين (pithecos) أي سعدان أو قرد و (anthropos) أي انسان ، والثانية لاطينية (erectus) أي معتدل او منتصب . فالاسم الجنسي « انسان الفطحل » ، والمعتدل : الصفة المميزة للنوع .

والفِطَحْلُ : دهر لم يخلق فيه الناس بعد (القاموس ٣١ : ٤) . وجاء في لسان العرب (٤٢ : ١٤) الفِطَحْل على وزن الهِزَبْر : دهر لم يخلق الناس فيه بعد . وزمن الفِطَحْل زمن نوح . وسئل رؤبة عن قوله زمن الفِطَحْل . فقال : أيام كانت الحجارة رطاباً . روى أن رؤبة بن العجاج نزل ماءً من المياه ، فأراد أن يتزوج امرأة ، فقالت له المرأة ما سنُّك ؟ ما مالك ؟ فأنشأ يقول :

لما ازدَرَت نَقْدي وقلّت إبِلي   تَأَلَّقت واتّصلت بعُكلِ
تسألني عن السنين كَمْ لي   فقلت لو عمِّرْت عُمرَ الحِسلِ
أو عمر نوح زمن الفِطَحْل   والصخر مُبتَلٌّ كطين الوَحْلِ
أو انني أوتيت عِلْمَ الحُكل   عِلْمَ سليمان كلام النَّملِ
كنت رهين هَرَمٍ أو قَتْلِ

جاء في معجم شرف ص ٦٤٩ :

Pithecanthropi (pl. of pithecanthropus) = Ape-men

« القرود الشبيهة بالانسان . البشر قبل التاريخ » : اه . ولنا على هذا التعريف مأخذان :
الاول : ان « القرود الشبيهة بالانسان » هي التي سماها المواليديون : Simiidae .

ووضعنا لها في العربيـة اصطلاح « الأشباه » ، ليشعر المطّلع انهـا أشباه الانسان ، ولا إنسانية .

الثاني : ان « البشر قبل التاريخ » يطلق عليهم اصطلاح : Pre - historic men وهم بشر فعلاً ، ولا « قردية » فيهم ، وعصرهم قريب نسبيًّا ، على الضد من « انسان الفطَحْل » فان تاريخه بعيد جدًّا . ويدلك على هذا ان الاستاذ « هِكْل » الألماني يعتقد أو هو يظن أنه الحلقة الحادية بعد العشرين من حلقات التطور التي تصل « البشريات » Anthropoidea بالانسان : Homo

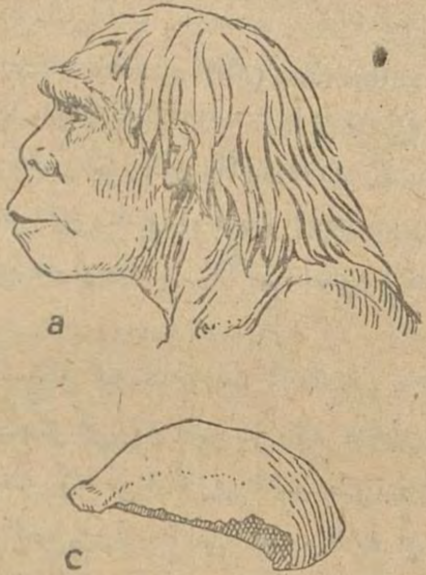

الرسم الأعلى : صورة متخيلة لانسان الفطحل
الرسم الثاني : الصاقورة التي عثر عليها الاستاذ دبوا في جاوه .

وجاء في معجم الحيوان المعلوف ص ١٩٠

الانسان القردي : اسم وضعه هِكْل من باب الحدس ، ثم كشف عظام الحيوان الآتي ذكره ، فسموه بهذا الاسم : P. erectus الانسان القردي المنتصب ، « قرد الزابج » اه .

ويعتقد بعض العلماء ان إنسان الفطَحْل وجد في نهاية الدور الثّلثيّ(١) : من الادوار الارضية(٢) وإنه تأصل من البشريات (٣) بأن بدأ يعتدل في مشيته ويكتسب قوة غير عاديّة في ساقيه ، بالاستعمال . ومضى في التطور حتى تحول الطرفان الاماميان ذراعين ينتهيان بيدين معدّتين لغير ما أعدّتا له في أسلافه ، وتحول الطرفان الخلفيان ساقين ينتهيان بقدمين أعدّتا للمشي

---

(١) Tertiary period
(٢) Geological Ages
(٣) Anthropoidea

اعتدالاً . على ان انسان الفطحل لم يحرز القدرة الانسانية على استعمال لغة مفصَّلة المقاطع ، مع ما يقتضيه ذلك من نشوء قوتي الوعي وتكوين الفكرات .(١)

وذكر سير « أرثر كيث » في الفصل الذي عقده في كتاب « التاريخ العام » ص ١٥٥ ج ١ وعنوانه « نشوء الانسان من صور الحياة الدنيا » : فقال ان اصطلاح : Pithecanthropus يساوي قولك Ape-man اي الانسان القردي ، غير أن معجم أكسفورد الكبير (ص ٩١٩ : ٧) قد أشار عند ذكر هذا الاصطلاح ، بعد ان فسّر اشتقاقه ، الى أن الاصطلاح يحتمل معنيين : إما الانسان القردي وإما القرد الانساني ، فقد جاء به ما نصه

An ape-man or man-like ape ; name given by Haeckel (1868) to a hypothetical link between the apes and man,

ولهذا جريت زمناً على تسميته « القرد البشري المتدل » ، بالرغم من أن عبارة « الانسان القردي المتدل » أصح ترجمة للاصطلاح الأعجمي . وكنت راعيت في ذلك ضرورة تعيين الاضافة . فان عبارة « القرد البشري المتدل » تُشعر بالتدرج من القردية الى الانسانية ، وفاق ما وقع في الطبيعة أخذاً بسنة التطور . ولا أشك في أن هذا المعنى هو الذي قصد إليه هِكَل عند ما وضع الاصطلاح .

غير اني عدلت عن هذه العبارة ، وسميته « إنسان الفطَحل » ، نسبةً إلى زمن الفطَحل والمقصود به في اللغة « دهر لم يخلق فيه الناس بعد » . وفي النسبة إليه دلالة عريقة على المقصود . ويدلنا على ذلك شاهد ننقله عن العلامة هكل واليك هو :

Qout, These Ape-like men, or Pithecanthropi, very probably existed toward the end of the Tertiary period. (٢) They originated out of the Man-like Apes, or Anthropoides, by becoming completely habituated to an upright walk, and by the corresponding stronger differentiation of both pairs of legs.

Haeckel (trans.) History of Creation, 11, 293.

وقال الأستاذ بِدَرْدْ : Beddard في كتابه « الثدييَّات » ص ٥٨٤ ما يلي :

« انسان الفطَحْل حيوان قارب الطابع البشري ، أكثر مما قاربه أيٌّ من القردة

---

(١) Encyclopedic Dictionary 5341-5

(٢) الدور الثاني : يجوز لنا أن نسمي الازمان الجيولوجية : Geological Ages (الادوار الارضية) ، لانها العصور التي تعين مدارج أو أدواراً خاصة في تاريخ تكوين طبقات الارض فتكون كالآتي :

الدور الاول : Primary period الدور الثنياوي Secondary period

الدور الثلثي : Tertiary period الدور الرباعي Quarternary period

في القاموس المحيط (١٦٣ : ١) وسق نخله الثالث أي بعد الثنيا ، وثلث الناقة ولدها الثالث .

البشرية . وقد حدّد المواليديون (١) هذا الجنس اعتماداً على ضرسين ، وصاقورة (٢) ناقصة، وعظم فَخِذِي (٣)، وجدت في أواسط جاوة ، مطمورة في قاع من الرّماد البركاني ، قيل ان تاريخه يرجع الى العصر الاجدّ أو الأجْدَد (٤) ، وتبلغ سعة الصاقورة ثلاثة أرباع متوسط سعة مثيلتها في الانسان . ومن مميزات هذا الحيوان انسطاح الجبهة وانخفاضها ، وبروز الحيود (٥) التي تكون فوق الحجاج (٦) ويبلغ طول الفخذ ٤٥٥ مليمتراً ، وهو معتدل ، فيدل بصورته هذه ، على ان الحيوان كان يمشي معتدلاً » . اﻫ .

ومنذ أن وقع الاستاذ « دُبْوا » Dubois على هذا الكنز العلمي العظيم أضيف الاسم النوعي اي المميز للنوع erectus الى الاسم الجنسي الذي أطلقه هكل على حلقته الوهمية Pithecanthropus فأصبح المصطلح ما هو . ويكون تعيين الدلالة العلمية كما قلنا في أول البحث، هو أن انسان الفِطَحْل اسم للجنس ويقابله Pithecanthropus وتمييز النوع الذي اكتشف الأستاذ « دبوا » آثاره هذه انه معتدل : erectus .

وقال العلامة « له كونت » Le Conte في جريدة « العلم » العام الشهرية عدد فبراير سنة ١٩٠٠ ما يلي :

« لقد اعتقد أن الانسان هو الانسان منذ أبعد عصور التاريخ . ذلك بأنه لم يكن قد عُثر على حلقات تربطه بشيء من البشريات . غير ان دكتور « دُبْوا » قد كشف في جاوة عن صاقورة وسنَّيْن وعظم فخذ ، ظهر من بحثها إنها لحيوان هو حلقة وسطى ، أطلق عليها المكتشف اسم P. erectus . أمَّا المشكلة الباقية أمام العلم أزاء هذا الاستكشاف الآن، فتنحصر في الحكم على صفات هذا الحيوان : أقردٌ هو أشبه بالانسان من أي قرد معروف ، أم انسان أشبه بالقرد من أي كائن بشري عرف ؟ أما العصر الذي عاش فيه هذا الحيوان ، فأواخر العصر الأجَدّ (وهو آخر عصر في الدور الثلثي من الأدوار الارضية) أو أوائل الدور الرُّباعي » .

أعظم ما يدل عليه هذا الكشف العلمي، أنّ الانسان متطور عن صورة حيوانية أدنأ من صورته التي عرف بها في أواسط الدور الرباعي ، وهو الدّور الذي سادت فيه الرئيسات أي القردة والسعادين على غيرها من صور الحياة، بما بث فيها من قوة الذكاء وسعة الحيلة وبدايات الاحساس الأدبي

---

(١) Naturalists (٢) Calvarium : صاقورة الجمجمة باطن القحف المشرف فوق الدماغ كانه قعر قصعة (شرف ص ١٧١) (٣) Femur (٤) Pliocene : انظر معجم سنشوري : Century ج ٤ ص ٤٥٦ ، فان الكلمة مكونة من حرفين يونانيين (Plion) أي زائد أو فائق و (Kainos) أي جديد ، ومدلوله فائق الجدة (٥) Ridges (٦) Orbit : العظم المشرف فوق العينين

ووصفه بعض المواليديين تحت عنوان « انسان جاوه » : Java Man فقال :

« إن أول انسان وصل اليه علمنا حتى الآن هو « إنسان جاوه » الذي عرف في الأوساط العلمية باسم « إنسان الفـطـحْـل » Pithecanthropus ، لأن به شبهاً كبيراً من القرود العليا. ولقد عاش هذا الانسان منـذ مليون سنة . وفي سـنة ١٨٩١ أخذت العـالم هزة عنيفة باستكشاف جزء من جمجمته وعَـظْـم فخذه . وفي ذلك الزمن ظن قليلون أن هذه الجمجمة ذات المخايل القردية ، لا يمكن أن تكون لانسان . فهي من حيث الحجم لا تتجاوز نصف جمجمة الانسـان الحديث . وعلى الرغم من أن حجم الجمجمة لا يتخذ قياساً للـكفايات العقلية ، فان النزول عن مستوى حجم خاص للدماغ يدل على ان الانسان أقرب إلى البدائية منه الى الرقي العقلي . كذلك تدل تلافيف الدماغ وعمق الحزوز المخية على الذكاء والقدرة العقلية . وهنا نجد ان إنسان الفطحل أقل في هـذه الصفات من كل طراز حصلنا عليه من السـلالات البشرية » .

« وهذه الجمجمة متطامنة ومسطوحة الى حدٍّ غير مألوف ، والجبهة متراجعة ، والجزء التالي للجبهة من الدماغ قليل النماء أوَّلي التكوين . وكل منطقة من المناطق ذوات العلاقة بالذكاء والفراهة ، تلك التي تنمو في الأطفال آخر شيء ، كانت ضئيلة قميئة . وإنسان الفطحل بالرغم من أنه كان بطيء الحركة غليظ النظر ، فانه كان حائزاً لصفة من الصفات الرئيسة التي تمتاز بها السلالات البشرية ، صفة أنه كان حائزاً قدرة بدائية على الـكلام . ولقد عرف المواليديون ذلك من الآثار التي خلفها الدماغ مطبوعة على الجمجمة ، حيث رأوا أن منطقة الـكلام ، وتـكون فوق موضع الأذن ، منتفخة بعض الشيء »

« يغلب أن أحدنا لو قدر له أن يرى « انسان جاوه » دالفاً يمشي مشي الرسيف في جنب غابة ملتفة الشجر ، إذن لأُخِـذَ بمنظره ، ولملـكه الرعب والفزع . فان هذا الحيوان كان ولا بد بمثابة شبح مخيف . ذلك بأن بدنه لم يتابع مخه في النماء . فان وجهه ، بحيوده الجبهية البارزة ، وعينيه الغائرتين ، وأنفه العريض الأفطس ، وفـكيه البارزين ، وذقنه المرتدة وجبهته المتراجعة ، كل ذا يرسم لك صورة مفزعة مريبة . وكانت رأسه تنغض دائماً الى الأمام ومن ورائها رقبة قصيرة غليظة ، فتلوح كأنها ارتكزت على كتفيه . وكان يستعصي عليه ان يرفع رأسه ويقف معتدلاً . فان فقاره لم يكن قد تطور الى حدٍّ يمكنه من الاعتدال . أما هيئته وقسماته وانحناء ركبتيه ، فربما أنستنا انه احد عجائب الدنيا . ولـكنه في الحقيقة بزرة الانسانية الأولى ، وأول جذر امتد منحرفاً عن دوحة القرود ، ليكون اصلاً للبشرية الحديثة »

لا تدخن

التدخين صحة تهدم ، ومال يحرق ، والذين يشيعون انه يساعد على الهضم أو يعين على التعادل الحمضي ، كذبة آثمون . لأن التدخين معول فتاك يهدم بسمومه الصحة ، وليست سمومه قليلا عددها ، فهي تسعة عشر سماً ، ومن بينها « الفوروفورال » الذي لم يكتشف له العلم الحديث الى الآن ترياقاً .

وبسبب الالتهابات المستمرة الناجمة عن امتصاص هذه السموم ، تحدث تغييرات مرضية واستحالات متنوعة في أنسجة الجسم ، وفي غدده الافرازية ، ثم تصلباً في نسيج الشرايين . ويتبع ذلك مضاعفة القلب لجهوده حتى يستطيع أن يدفع الدم الى هذه الشرايين المتصلبة ، مما يتسبب عنه سرعة النبض والخفقان القلبي الذي يصاب به عادة المدخنون .

وليس القلب وحده هدفاً لسهام التدخين القتالة الطائشة ، وانما الكبد ، والكلى ، والمعدة ، والرئة ، والأعصاب والبصر ، والاسنان ، كلها من ضحاياه أيضاً .

والتدخين كثيراً مايسبب ذبحة صدرية ، تظهر عند المدخنين ما بين سن الخامسة والاربعين والخامسة والخمسين ، كما يسبب أيضاً الامساك ، والصداع ، والحموضة والدوخة ، وفقدان الشهية ، والهبوط الجنسي ، والهستريا ، والنورستانيا ، والتهابات الفم ، والحنجرة ، واللثة ، ويزيد من سرعة الانفعالات النفسية الغاضبة ، ويساعد على الاصابة السريعة بأمراض البرد ، لأنه يحدث التهاباً باللوز ، ويزيد النزلات الشعبية ، ويسبب التهابات في القصبة الهوائية والشعب ، وقد ينجم عنه نزيف دموي عند المصابين بأمراض في الرئة ، كما أن المدخن سريع الشعور بالتعب .

ومعظم قرح المعدة ، وكذلك قرح الرئة ، ترجع أسبابها الى التدخين ، ثم ان الدكتور « جراي » قد وجد ان ٩٦ ٪ من حالات سرطان الشفة ، واللسان ، والحلق ، التي مرت به كانت في المدخنين .

وقد اكتشف الدكتوران « مول » و « فلينت » ان التدخين ينقص من افراز الببسين والرينين مما يسبب عدم هضم المواد الزلالية ، وهذا هو السبب في أن النحيف اذا أقلع عن التدخين يزيد الى وزنه بضعة كيلو جرامات .

وقد قام الدكتور « ماك نللي » ببحث في هولندا حيث ينتشر التدخين أكثر من أي مملكة أوروبية أخرى فوجد ان نسبة الموتى من سرطان المعدة ، ضعفها في بلاد الانجليز وهي الامة التالية لهولندا في غرامها بالتدخين .

وللاقلاع عن التدخين سبع طرق : —

١ — الارادة

٢ — احلال عادة أخرى مكان التدخين كوضع قطع الحلوى في علبة السجاير نفسها وأخذ واحدة منها كلما ألحت الرغبة الى التدخين .

٣ — صيام الفاكهة لمدة يومين ، لا يؤكل خلالهما غير فاكهة الموسم ، في الوجبات الثلاث كما يشرب كميات كبيرة من الماء .

٤ — ترك الطعام قبل الشبع ، لأن ملء البطون يدعو الى التدخين .

٥ — غسل اللسان وتنظيفه جيداً بالفرشاة .

٦ — لكي لا يستطعم الانسان الدخان ويكرهه ، يمضمض بمحلول نترات الفضة $\frac{١}{١٠٠٠٠}$ بضعة مرات يومياً .

٧ — التنفس العميق بالبطن وليس بالصدر ، ثلاثين مرة كل صباح أمام نافذة مفتوحة .

فهمي عطا الله

الاسرة والمجتمع (١)

من المعتقدات الخاطئة ولا شك ، معتقد ان الأسرة نظام طبيعي فطري يرجع الى الغريزة أو بالأحرى الى غريزة بعينها ، ينبغي إذا ما أنعمنا النظر قليلاً في تحليلها ، أن ندعوها غريزة الأسرة . وليس من ذلك شيء في عالم الحياة على اطلاق القول . أما الحقيقة فالقول بأن الأسرة نظام تعاوني اقتصادي ، كان في منشئه الاول تعاونيًا صرفاً كما نرى في الجماعات البدائية حيث انصرف النساء الى القيام بكل حاجات الجماعة ، ما عدا الصيد والدفاع عن النفس ، فكانت هذه من اختصاص الرجل . ومع نشوء المدنيات وتطورها نشأ العامل الاقتصادي بالإضافة الى العامل التعاوني . فالأسرة في نظامنا الحاضر نظام تعاوني اقتصادي أخذت رابطته تنحل شيئاً بعد شيء ، وقد يأتي زمن تنحل فيه هذه العقدة التعاونية الاقتصادية انحلالاً تامًا .

دليلنا على ذلك ملموس فالآصرة التي تربط الأسرة في هذا العصر أساسها الرفاهية الاقتصادية . ولهذه الرفاهية الاقتصادية قانون ثابت . فكلما تهيأت للاسرة مسببات الرفاهية الاقتصادية ، ضعفت الناحية التعاونية ، وأصبحت الرابطة الأسريّة مسألة موازنة بين مصالح مادية صرفة . واذا ضؤلت مسببات الرفاهية الاقتصادية قويت الناحية التعاونية بضرورة الحال ، وأصبحت الرابطة الأسرية مسألة حاجة تقتضيها نزعة الاحتفاظ بالذات ، ومواجهة مطلوبات الحياة بقوة تستمد من ذلك التعاون .

إذا حللنا هذا القانون بشيء من العمق اتضحت لنا حقيقته اتضاحاً أقوى وأظهر . فاذا كانت الرفاهية الاقتصادية مصدرها ثروة الرجل واستأثر بها ، ضعفت رابطة الأسرة ، لأن المرأة لا تجد لها مصلحة في الابقاء على هذه الرابطة التي تعود منفعتها على الرجل وحده .

---

(١) من مؤلفات الجمعية الفلسفية المصرية تأليف الدكتور علي عبد الواحد وافي رئيس الجمعية الفلسفية. التزمت طبعه ونشره دار أحياء الكتب العربية بمصر ، ١٤٤ صفحة من القطع الأوسط : ١٩٤٥

وعكس ذلك مطرد أيضاً ، أي اذا كانت الرفاهية الاقتصادية مصدرها ثروة المرأة واستأثرت بها دونه . فاذا ضعف المؤثر الاقتصادي وأخذ المؤثر التعاوني سبيله الى العمل في النظام الأسري ، تعذر على هذه العقدة التي نسميها الأسرة البقاء ما لم يقم كل من طرفيها بنصيبه من وجوه هذا التعاون . فأسرة ما ضعف في تكوينها العامل الاقتصادي لن تقوم بغير التعاون ، فاذا لم يتزن طرفاها في الاضطلاع بمقتضياته ، ضعفت رابطة الأسرة وربما انحلت تماماً .

عاملان اذن لا غيرهما كانا السبب في نشوء ما نسميه الأسرة : التعاون ابتداءً ، ثم الاقتصاد تعقيباً . وهما عاملان يتزايلان ، بمعنى ان أحدهما اذا قوي ضعف الآخر ، وهكذا دواليك الى حيث لا انتهاء .

***

لا نستطيع أن ننكر أن هنالك أثراً غريزيًّا يتقدَّم ذلك النظام الذي نسميه «الأسرة» ذلك هو أثر غريزة حفظ الذات وما يترتب عليها من غريزة حفظ النوع . غير ان العلاقة بين الأسرة وبين الأثر الغريزي اظاهرتي حفظ الذات وحفظ النوع هي أشبه بالعلاقة بين فن الطهي وغريزة الاغتذاء . فالاغتذاء وطلب القوت غريزة ، ولكن الصورة التي يُهيَّأ بها الغذاء ، ليست أكثر من فعل ثانوي تطلبته ظروف تطورية معروفة . أضف الى ذلك أن غريزة حفظ الذات والنوع هي فعل فزيولوجي (وظائفي) في حين أن الأسرة ظاهرة بعيدة كل البعد عن تلك الغريزة الوظائفية ، وما هي غير مظهر اجتماعي اقتضته ظروف طارئة ، يتغير ولا شك بتغيرها ويتكيف بمقتضياتها . فليس فيه اذن من صفة الثبات الغريزي شيء اطلاقاً .

***

إن نظام الأسرة الذي قام كما أسلفنا على ضرورة تعاونية ابتداءً ومنفعة اقتصادية تعقيباً ، بمقتضى تطور الحالات المدنية التي مرَّ بها الانسان ، قد يتكيف بحسب النظام الاقتصادي القائم في كل جماعة من الجماعات . فالأسرة من حيث الرابطة والاتصال وقوة التماسك في نظام رأسمالي ، غيرها تماماً في نظام شيوعي . وهي في مجتمع يعترف للمرأة بحق الملك والعمل والانتاج ، غيرها من مجتمع ينكر على المرأة هذه الحقوق . وما القوانين والشرائع التي نظمت الأسرة برابطة الزواج وأواصر القرابة الاّ نتيجة التشريع من جانب واحد من جانبي الجمعية ، جانب الرجل الذي استعمل دائماً حق الأقوى ، وسن شرائع الأسرة على أساس

الاحتفاظ بسلطته على المرأة ، ومرت بشرائعه تلك أطوار متعاقبة اتجهت في جميع مظاهرها جهة واحدة ، هي جهة السيطرة على الشطر الأضعف من شطري المجتمع ، فتناوبت ذلك الشطر ألوان من السياسات أشبه بتلك التي تناوبت سياسة الاسترقاق في كثير من أمم الأرض

***

قلنا من قبل انه لا يوجد من شيء يقال له « غريزة الأسرة » حتى يقال بأن النظام الأسري غريزي، أي فيه ثبات الغريزة وخصائصها . وليس في علم النفس ولا في علم الاجتماع ولا في علوم الأحياء قاطبة شيء يدعى «غريزة الأسرة» . وإذن يكون هذا النظام انساني وضعي صرف، فيه كل صفات الأشياء الانسانية الوضعية القائمة اول شيء على عدم الاستقرار، المتغيرة بمقتضى الظروف الاجتماعية والاقتصادية ، الخاضعة لضروب السياسات المدنية في مختلف العصور . وما أبعد شيء هذه صفته عن أن يكون غريزة . زد الى ذلك ان ليس في نظام الأسرة من ناحية واحدة ينطبق عليها تعريف الغريزة كما هي معروفة في علم الأحياء أو النفس

أعتقد فوق ذلك أن الأسرة كما نظمتها القوانين والشرائع وكما هي قائمة اليوم ، بل وكما عاشت في بعض العصور البدائية، كانت مانعاً صد الطبيعة عن ان تجري على هذا الحيوان الناطق حكم سننها الطبيعية التي أدت إلى نشوء الأنواع ، فعاقت بذلك ، وبخاصة في عصور التمدن التي سيطرت فيها القوانين والشرائع، نماء الصفات العليا في الانسان، صفات العقلية الممتازة والفن الرفيع والخلق الفاضل وما الى ذلك .

فان من الثابت ان الصفات الأدبية تورث كما تورث الصفات البدنية تماماً . وقد ثبت ذلك ببحوث العلامة « فرنسيس غالتون » (١) و « داروين » (٢) وشترتون هل » (٣) وغيرهم . والصفات الممتازة في الأفراد قد تظهر فجأة كما ثبت ذلك ببحوث كثيرين من المشتغلين بعلم الوراثة ، فاذا لم تحفظ هذه الصفات بالانتخاب الصناعي ، فقدت قوتها وخصائصها ، وظلت تظهر في فترات متقطعة متباعدة ثم تختفي في ذلك البحر اللجي من الصفات التي هي أدنى منها ، ولا يخرج منها سلالة برأسها إلا بتأثير عوامل طبيعية لا تتيسر للانسان الآن في بقعة من بقاع الأرض ، وان يسرت في ما سلف من الأحقاب .

ولقد استطاع الانسان ان يخرج سلالات من الحيوان وضروباً من النبات ذوات صفات

---

(١) Hereditary Genius (٢) Descent of Man

(٣) Heredity and Selection in Sociology

جديدة ممتازة بالانتخاب الصناعي (١) والانتخاب اللاشعوري (٢) . وذلك مبحث مستفيض في نشوء السلالات ليس هذا موضع شرحه . ولكن الذي يعنينا هنا هو القول بان شرائع الزواج والأسرة قد تتطور بحكم العلم الى ما يشبه ذلك في المستقبل . بل إني أقول ان هذا ينبغي أن يكون مذهباً اجتماعياً يقصد به توليد سلالات ممتازة بالانتخاب الصناعي من أفراد النوع البشري . وسوف آخذ في تأليف كتاب في هذا المذهب عما قريب .

لقد اثبت سير فرنسيس غالتون ان وراثة الصفات الأدبية والفنية أمر ثابت علمياً وعملياً ، ودلل على مذهبه باحصائيات مستفيضة جمعها عن أسر انجليزية توارثت القضاء والسياسة والقيادة والأدب والشعر والموسيقى والتصوير واللاهوت وغير ذلك . فأي مانع يحول دون الاحتكام في هذه الظاهرة لتصبح يوماً ما العامل الأول في تكوين فئات ممتازة من النوع البشري تتوارث النبوغ جيلاً بعد جيل ؟

ذلك دليل آخر على أن الأسرة ليست نظاماً أبدياً غريزياً كما يقول البعض ، وإنما هي نظام مدني صرف شرّع له شطر واحد من شطري الجمعية ، فانحدر إلينا على الصورة التي نراها اليوم ، ونرى معها كيف تؤثر فيها عوامل المجتمع تأثيراً يثبت لدينا انها أبعد شيء عن ان تكون غريزة أو نتاج غريزة ، وأنّها متغيّرة متقلبة بحسب النوازع الاجتماعية

***

والكتاب حسن الأسلوب واضح العبارة . غير ان لنا على بعض المصطلحات التي استعملت فيه ملاحظات منها استعماله كلمة « وحدانية (ص ٦٨) كقوله — « وحدانية الزوجة مع تعدد الأزواج » ، ومن الممكن أن يكتفي بعبارة « تعدد الأزواج » ، وكقوله « وحدانية الزوج مع تعدد الزوجات » ، ويكتفي في ذلك بعبارة « تعدد الزوجات » ، الى غير ذلك . ثم ان لفظة « وحدانية » أصبحت من المصطلحات المخصصة تخصصاً دقيقاً جداً في الفلسفة القديمة فاذا ذكرت دلت على « وحدانية الله » ، بحيث اذا ذكرت غير مضافة ، دلت على هذا المعنى بغير حاجة الى بيان الإضافة . ويحسن ان لا تستعمل في غير ما تخصصت له .

---

(١) Artificial Selection

(٢) Unconscious Selection.

الاحلام والروح

قرأت في مقتطف يونيو سنة ١٩٤٥ تحت هذا العنوان ما كتبه حضرة الفاضل الاستاذ نقولا الحداد تعليقاً على ما نشره المقتطف لي تحت نفس العنوان في عدد ابريل . وكل ما كتبه معروف لا جديد فيه لأنه ترديد للآراء المادية التي سادت عقول العلماء في القرن التاسع عشر والتي اندثرت اليوم إزاء الفتوح الحديثة في العلم . والظاهر أن حضرة الكاتب الفاضل لم يصل إلى علمه بعد أن الكون المادي قد تبخر حتى في ضوء علم الفيزيقا الحديثة . وإخاله لم يقرأ لأنيشتاين كتابه « تطور الفيزيقا » الذي ألفه بالاشتراك مع العالم إنفلد ، ولا كتاب « الفيزيقا والفلسفة » لمؤلفه العلامة جينز ، ولا كتابي « طبيعة العالم الفيزيقي » و « المسالك الجديدة في العلم » لمؤلفهما العلامة أدنجتون . فلقد نادى هؤلاء العلماء الأعلام في كتبهم تلك بانهيار المذهب الآلي القائل بآلية الكون لحطموا الكون المادي تحطيماً . وإخاله كذلك لم يقرأ رأي اينشتاين الأخير في الأثير ، ففي محاضرة له عن « الأثير والنسبية » وضح موقفه فقال : —

« أعود فأقول إنه تبعاً لنظرية النسبية العامة يكون الفضاء قد وهب صفات فيزيقية ، وفي هذا المعنى يوجد أثير . وتبعاً لهذه النظرية العامة لا يمكن تخيل الفضاء بغير أثير ، لأنه في هذا الفضاء لا يتعذر انتشار الضوء فحسب ، بل يستحيل وجود معايير للفضاء والزمن (قضبان قياس وساعات) ، ولا توجد من ثمت أية فترات فضا زمنية بالمعنى الفيزيقي . ولكن هذا الأثير لا يصح أن يُظن أنه قد وهب الصفة المميزة للاوساط التي يمكن أن توزن باعتباره متألفاً من أجزاء يمكن سحبها خلال الزمن . أما فكرة الحركة فلا يمكن تطبيقها عليه » .

ومحاضرة اينشتاين هذه مطبوعة .

وإخال الأستاذ نقولا الحداد لم يسمع أيضاً بذلك « العلم الروحي الحديث في الجامعات » ويكفي أن ألفت نظره الى كراسي أنشئت له في جامعة بون بألمانيا ، وفي جامعة كمبردج بانجلترا ، وفي عشرين جامعة في أميركا . وقد يسره أن يعلم أن هذه الدراسة الروحية قد

أنشئت في كمبردج سنة ١٩٤٠ ، ويشرف عليها العلامة الدكتور بروض أستاذ الفلسفة فيها ، وأن منهج الدراسة هو : —

« فحص الظواهر العقلية أو الجسمانية التي تبدو لأول وهلة كأنها تشير أولاً الى وجود قوى معرفة أو فعل خارقة للعادة في بني الانسان خلال حياتهم الراهنة ، وثانياً الى بقاء عقل الانسان بعد الموت الجسماني » . أي أن أساس البحث هو من جهة القوى الوساطية ومن جهة أخرى بقاء الشخصية والوعي بعد الموت .

ولو شخص حضرة الاستاذ نقولا الحداد إلى جامعة لندن لراقه أو راعهُ أن يرى فيها حجرة لتحضير الأرواح هي الأولى من نوعها في الجامعات ، وقد جهزت بأحدث الأجهزة العلمية الدقيقة . ولكنه قد يرى صورة لهذه الحجرة في كتاب « خمسون من سني البحث الروحي » الصادر سنة ١٩٣٩ لمؤلفه العلامة هاري برايس سكرتير مجلس جامعة لندن للبحوث الروحية .

فليس في الأمر إذن دعاوى خرافية ساذجة وما إلى ذلك من بديع الحجج المادية ، وإنما هناك علم تعجز عن إدراكه العقول المتشبثة بالمادة حتى بعد أن حطم العلم الحديث الكون المادي .

ومع كل هذا لنفرض جدلاً صدق ما ينادي به حضرة الأستاذ نقولا الحداد ، ونرجوه أن يعلل لذلك الحادث الذي أثار هذا النقاش وهو الحادث الخاص برفعة حسنين باشا ، ونؤكد له انه حادث حقيقي ، وقد رددته أخيراً مجلة « الدنيا الجديدة » في عدد مايو الماضي . نعم فليعلل له في ضوء معلوماته ان استطاع . وهو لن يستطيع . وليبتعد عن ذكر الوهم والخرافة لأن ذلك لا يتضمن برهاناً ، وليجتنب التكرار فان « معاداة المعادات » أمر معروف .

وبقي أن أقول انني لم أضمن مقالي الأول شيئاً قلت عنه إنه « وراء الطبيعة » لأنه لا يوجد شيء وراء الطبيعة ، وإنما هناك قوانين الله الأزلية الطبيعية ، وهذه تنكشف الفينة بعد الفينة للعقل العلمي الفاحص وعلى قدر نضجه . والروح مادة لا تستجيب لها المشاعر ، وقد وصل العلم الى تصويرها بالفوتوغرافيا والأشعة تحت الحمراء ، والى وزنها كما وصل الى تصوير سيول الكهارب المختلفة والى وزنها ، ولا يخفى أن تلك الكهارب مادة لا تستجيب لها المشاعر مع أنها أساس المادة المحسوسة ، وهي اللبنات التي منها يتألف الكون المادي المنظور .

احمد فهمي أبو الخير

مدير السينما الثقافية بوزارة المعارف

مساجد دمشق

مسجد المدرسة العزية

بالجسر الابيض

مقدمة

نشر المعهد الفرنسي بدمشق كتاب « ثمار المقاصد » ليوسف بن عبد الهادي عن مساجد دمشق « تحقيق وتعليق » الاستاذ أسعد طلس . وفي هذا المقال والمقالات التالية له تصحيح لبعض ما وقع فيه الاستاذ أسعد من أخطاء مع التعريف بهذه المساجد وتحقيق تاريخها ومواقعها .

يقول يوسف بن عبد الهادي في ص ١٥٤ ، ١٥٥ من كتاب « ثمار المقاصد » المحلة الحادية والعشرون (بالصالحية) : حارة الجسر وبها عدة مساجد ... الرابع : مسجد بالمدرسة العزية » اه

ويعلق على ذلك الاستاذ أسعد طلس بالهامش رقم ٣ ص ١٥٥ بقوله :

« هي التربة العزية البدرانية الحزية ولعل المؤلف (أي ابن عبد الهادى) أطلق عليها اسم مدرسة لأن واقفها وقف فيها درساً ومكتبة » . اه

ثم ينقل الاستاذ بعد ذلك عن النعيمي (١) عبارة هذا نصها : « هي بالصالحية عند جامع الافرم أنشأها حمزه بن موسى بن احمد بن الحسين بن بدران ... المعروف بابن شيخ السلامية مدرس الحنبلية . قال ابن قاضي شهبه وقف درساً بتربته بالصالحية وكتباً وعين لذلك الشيخ زين الدين بن رجب توفى سنة ٧٦٧ ﻫ ودفن عند جده ووالده بتربته » اه

---

(١) هو محي الدين أبو المفاخر عبد القادر بن محمد بن عمر بن محمد بن يوسف بن عبد الله بن نعيم النعيمي المتوفى سنة ٩٢٧ هجرية = ١٥٢١ ميلادية وهو مؤلف كتاب « تنبيه الطالب وارشاد الدارس لاحوال مواضع الفائدة بدمشق كدور القرآن والحديث والمدارس » ويشمل هذا الكتاب علاوة على ذلك كما ورد في صحيفة ١٥ بالجزء الاول منه ما يلتحق بذلك من الربط (جمع رباط) والخوانق (جمع خانقاه) والترب والزوايا من بيان أماكنها وأوقات انشائها وتراجم واقفيها وذكر أوقافهم وشروطهم الخ . والنسخة التي اعتمدنا عليها هي مخطوط المجمع العلمي العربي بدمشق في مجلدين ضخمين ونحن نشكر للمجمع السماح لنا بالانتفاع بهذا المؤلف القيم في دراستنا لمساجد دمشق ومعاهدها الاثرية .

﴿ التصحيح ﴾ — ونحن نقول للأستاذ أسعد ان ابن عبد الهادي حين أراد أن يتكلم عن مساجد ومحلات الصالحية قال انها تبلغ اكثر من ثلاثين محلة (أنظر ص ١٤٥) كانت محلة الجسر هي الحادية والعشرين وحارة الفواخير وجامع الأفرم الخامسة والثلاثين وحارة الحواكير والردادين السادسة والثلاثين منها . ولا بد ان الاستاذ اطلع على كلام ابن عبدالهادي ووعاه جيداً حين نشر كتابه « المساجد » .

فلا ندري اذن كيف تكون المدرسة العزية بالجسر الأبيض هي نفسها المدرسة العزية بحارة جامع الأفرم ؟ واذا كان الأستاذ وجد بالنعيمي فصلاً عن مدرسة تسمى العزية أفلم يكن الأجدر به أن يبحث عن عزية يكون موقعها بالجسر لا بمحلة أخرى بعيدة عنها ؟

لذلك فالعزية التى يعنيها ابن عبد الهادي هي غير التربة العزية البدرانية الحزية التى يشير إليها الأستاذ أسعد بهامشه وينقل عن النعيمي التعريف بها .

***

إننا اذا حصرنا الآثار والمعاهد التي وصل إلينا علمها وكانت تقع في محلة الجسر الأبيض لوجدنا من أعظمها الخانقاه (١) العزية :

يقول النعيمي بالجزء الثاني من الدارس ص ٣٧٠ في باب الخوانق (جمع خانقاه)

فصل الخانقا العزية بالجسر الابيض (٢) : هي قبلي دار عبد الباسط وغربي (المدرسة) الماردانية ومدرسة الخواجا ابراهيم الأسعردي بغرب . قال ابن شداد : خانقاه على نهر ثورا انشاء الأمير عز الدين ايدمر الظاهري نائب السلطنة بدمشق » اه

وقد اطلع النعيمي على وثيقة وقفها وذكر أعيان هذا الوقف وقال « انها تربة ومسجد ورباط بالجسر الأبيض »

ولذلك عقد عنها فصلاً خاصًا بباب الترب تحت عنوان التربة الايدمرية الثانية (ج ٢ ص ٤٣١) . وقال « هي بالخانقاه العزية عند الجسر الأبيض أنشأها عز الدين ايدمر الظاهري المتوفى سنة ٧٠٠ ه » اه

---

(١) الخانقاه ــ جمعها خوانق أو خانقاهات : هي معهد ينزل فيه الصوفية والفقراء يشبه في هندسته بناء المدارس وبه حجرات لاقامة النزلاء فيه وله شيخ يتولى شئونه الدينية والتعليمية والادارية .

(٢) عن الخانقاه العزية . انظر (مخطوط) الدارس للنعيمي ج ٢ ص ٣٧٠ و (مخطوط) منادمة الاطلال للشيخ عبد القادر بدران ج ٢ ص ٣٥٨ — ٣٥٩ . (ومنه نسخة بالتصوير الشمسي بدائرة أوقاف دمشق) و (مخطوط) مختصر المنادمة لبدران . نسخة دائرة أوقاف دمشق . و (مخطوط) المروج السندسية لابن كنان ص ١٩ و ص ٢٤ و ص ٧٩ (ومنه نسخة بالتصوير الشمسي بالمجمع العلمى العربي بدمشق) ودامسكس . لولزنجر وونزنجر ج ٢ ص ١١٥ . وسوفير (المجلة الاسيوية) مجلد ١٨٩٥ ص ٢٨٤ وهامش ٧٩ ص ٣٠٦ - ٣٠٧

ونقول أن بقايا هذه المدرسة والخانقاه والرباط والتربة كانت موجودة حتى أواخر القرن الماضي وأوائل هذا القرن ، فقد زارها ماكس فان برشم العالم الأثري الشهير ونقل النقش التاريخي الذي كان منقوشاً عليها باسم ايدمر الظاهري (١) وكان بابها على يسار المصعد من دمشق الى الصالحية بجوار الجسر الأبيض على نهر ثورا

كما ان الشيخ عبدالقادر بدران (٢) وصفها في مختصر كتابه المنادمة بقوله :

« وهي الآن خربة ولم يبق منها سوى القبة وهي بجانب الجسر من الغرب » اه

ونقول نحن ان ذلك جميعه قد زال الآن وأصبح موضعها أبنية مستحدثة .

***

من هو الامير عز الدين ايدمر الظاهري

يقول ابن كثير في حوادث سنة ٦٧٠ ج ١٣ ص ٢٦١ :

« وفي أواخر المحرم (سنة ٦٧٠) ركب السلطان الظاهر بيبرس في نفر يسير من الخاصكية والامراء من الديار المصرية حتى قدم الكرك واستصحب نائبها معه إلى دمشق فدخلها في ثاني عشر صفر. ومعه الامير عز الدين ايدمر نائب الكرك فولاه نيابة دمشق وعزل عنها جمال الدين اقوش النجيبي في رابع عشر صفر .. الخ »

ويقول العلموي (٣) في مختصر الدارس ص ٩٩ / ١٠٠

« ولم يزل بدمشق نائباً الى ان مات الظاهر وولى ابنه السعيد فاستمر ايدمر في نيابة دمشق . ولما جاءها السعيد وتغيرت خواطر الأمراء عليه وطلبوا منه ابعاد الخاصكية فلم

---

(١) انظر هامش رقم ٧٩ ص ٣٠٦ ـ ٣٠٧ بالمجلة الاسيوية مجلد ١٨٩٥ وفيه ترجمة هذا النقش

(٢) هو الشيخ عبد القادر بدران الدوماني الدمشقي أصله من قرية دوما بجوار دمشق وكان ينزل بدار الحديث الاشرفية شرقي القلعة بالعصرونية وفيها ألف كتابه الشهير « منادمة الأطلال ومسامرة الخيال » في آثار دمشق والموجود منه في العالم نسخة وحيدة بمصر بالمكتبة التيمورية . وقد أهدى منها المرحوم العلامة احمد تيمور باشا نسخة بالتصوير الشمسي لدائرة أوقاف دمشق هي التي اعتمدت عليها في أبحاثي أثناء وجودي بدمشق . وقد توفى ١٣٤٦ هـ — ١٩٢٧ م . وقد كنت علمت وأنا بدمشق أن تركة الفقيد كانت تحتوي على نسخة بخط الفقيد عند الشيخ يس الرواف فاتصلت بحضرته فنفى لي ذلك . والنسخة الموجودة على ما بها من أخطاء كثيرة ـ أساسها في الغالب جهل الناسخ ـ تعد مرجعاً ذا قيمة لدراسة معاهد دمشق من الوجهتين التاريخية والاثرية . وللشيخ بدران عدا ذلك مختصر لكتابه المنادمة كانت توجد منه نسخة وحيدة بدائرة أوقاف دمشق اشترتها ـ أخيراً كما علمت ـ المكتبة الظاهرية بدمشق . وللشيخ كتاب آخر مطبوع هو تهذيب التاريخ الكبير لابن عساكر .

(٣) هو الشيخ عبد الباسط العلموي المتوفى ٩٨١ هـ وقد اختصر كتاب الدارس للنعيمي والنسخة التي اعتمدنا عليها هي مخطوط المجمع العلمي العربي بدمشق وبالمكتبة التيمورية بالقاهرة نسخة أخرى من هذا الكتاب . وقد ترجمه الى الفرنسية مسيو سوفير ونشره تباعاً بالمجلة الاسيوية من ١٨٩٤ الى ١٨٩٦

يجبهم خوفاً من سوء العاقبة ساروا الى برج الصفر وترددت الرسل بينهم ... »

وانتهى الأمر بأن خلع الملك السعيد نفسه في ١٧ شهر ربيع الآخر سنة ٦٧٨ (١) ... ومسك الأمير ايدمر الظاهري نائب الشام واعتقل بالقلعة عند نائبها وكان نائبها إذ ذاك علم الدين سنجر الدواداري وأحيط على أموال نائب الشام وحواصله وجاء على نيابة الشام الأمير شمس الدين سنقر الأشقر في أبهة عظيمة .. الخ

وقال في الشذرات (٢) : وقد حبس مرة ثم أطلق فلبس عمامة مدورة وسكن بمدرسته عند الجسر الأبيض وتوفى في ربيع الأول سنة ٧٠٠ هـ ودفن بتربته . اهـ

المدارس العزية بالصالحية

اذا كان الاستاذ أسعد يبحث عن أية تربة تسمى العزية ليضعها بمحلة الجسر ويقول هذه هي التي عناها ابن عبد الهادي فقد كانت أمامه ترب عزية أخرى بالصالحية ربما كانت إحداها أحق بأن يختارها لأنها في منتصف الطريق بين محلة الجسر التي يتكلم عنها ابن عبد الهادي ، ومحلة الأفرم التي تقع فيها التربة العزية البدرانية الحزية التي اختارها حضرته

وهذه التربة العزية التي نعنيها هي التربة العزية الايدمرية الأولى بمحلة السكة لصاحبها الأمير عز الدين ايدمر بن عبد الله الملكي الصالحي . توفى بالقلعة سنة ٦٦٧ هـ ودفن بتربته بالقرب من المدرسة اليغمورية .

وهناك تربة عزية أخرى بالصالحية (بالسفح) انشأها عبد العزيز بن منصور بن وداعة الصاحب عز الدين الحلبي المتوفى سنة ٦٦٦ هـ . وله تربة ومسجد بقاسيون بالصالحية ويسمى مسجده مسجد الحلبي او الحلبيين .

وثمة تربة عزية ثالثة بالصالحية أيضاً كانت تقع بمنطقة الحواكير بالمهاجرين — صالحية هي التربة العزية الايبكية الحموية للامير عز الدين ايبك الحموي المتوفى سنة ٧٠٣ هـ

***

فهذه الترب العزية جميعاً عدا التي بالجسر والتي بالأفرم عدتها خمس ترب تخير منها الأستاذ أسعد تلك التي بالأفرم ضارباً صفحاً عن تحديد المؤلف موضعها بمحلة الجسر ظناً منه انها هي وحدها التي يمكن أن يطلق عليها اسم مدرسة لأن واقفها «وقف فيها درساً ومكتبة ». والحقيقة ان المدارس والربط والخوانق ودور الحديث ودور القرآن والزوايا كانت

---

(١) انظر تفصيل ذلك في تاريخ ابن كثير « البداية والنهاية مجلد ١٣ ص ٢٨٧ ـ ٢٨٨ حوادث ٦٧٨

(٢) انظر شذرات الذهب في اخبار من ذهب لعبد الحي بن العماد الحنبلي ج ٥ ص ٤٥٦ ـ ٤٥٧

جميعها معاهد دين ودرس وعبادة علاوة على ان بها مدافن خاصة لأصحابها وكذلك يمكن أن يعد من هذا القبيل الترب التي كان يبنيها أصحابها ليدفنوا فيها، فقد كانوا يقفون عليها الكتب والأوقاف الدارة للتعليم وتلاوة القرآن الكريم وعبادة الله . فلم تكن المدرسة العزية البدرانية الحمزية التي اختارها الأستاذ أسعد هي وحدها التي أوقف عليها درس ومكتبة

وفيما يلي بعض الأمثلة على ما نقول :

اولاً : تربة العيني : الملاصقة لتربة عصمة الدين خاتون والجامع الجديد بالصالحية قبلي المدرسة الجهاركسية بزقاق المقدم والدلامية انشأها الخواجة ابو بكر بن العيني ثم أوقف عليها ولده عبد الرحمن بن العيني اوقافاً ورتب في الايوان مدرساً . وعشرة من الفقراء ووقتاً في كل ليلة جمعة وشرط في المدرس والفقهاء أن يكونوا احنافاً ووقف كتبه عليها ... الخ

ثانياً : التربة البزورية : بسفح قاسيون . فوق سوق القطن أنشأها محفوظ بن معتوق البغدادي المعروف بابن البزوري وأوقف عليها كتبه . وكان تاجراً سريًّا ومحدثاً جمع تاريخاً جعله ذيلاً على المنتظم في تاريخ الامم للحافظ بن الجوزي وتوفى سنة ٦٩٤ ودفن بها .

ثالثاً : التربة البهنسية : بسفح قاسيون . بناها المجد البهنسي وزير الملك الاشرف توفى سنة ٦٢٨ . . . ودفن بتربته وكان قد أجرى عليها أوقافاً جيدة دارة وجعل كتبه وقفاً عليها .

وكل من يطلع على كتاب ابن عبد الهادي يعرف ان أكثر المساجد الموجودة به يمكن أن تسمى ترباً أو مدارس ويندر أن ينشىء أحد الناس في ذلك العصر مؤسسة خيرية للتعليم والعبادة إلاّ ويبني له فيها مدفناً خاصًّا حتى تحل عليه بركة العلم والقرآن الذي يتلى فيها ودعاء من ينتفع بخيرها .

***

وخلاصة القول أن المدرسة العزية بالجسر التي يعنيها ابن عبد الهادي هي مدرسة (ورباط وخانقاه وتربة) عز الدين ايدمر الظاهري المتوفى سنة ٧٠٠ هـ . وليست العزية البدرانية الحمزية التي يذكرها الأستاذ أسعد بهامش رقم ٣ بصحيفة رقم ١٥٥ إذ أن هذه الأخيرة تقع بمحلة الأفرم وهي محلة أخرى غير محلة الجسر الأبيض .

القاهرة الصبير محمد رجب

الحمامة المفقودة

أخلاصةَ اللطف التي لا تلمسُ   إن كنتِ من نسم فذا نتنفسُ
أو كنتِ موجاً كهرطيسيًّا فما   بال النخامُ لديك لا يتكهرسُ (١)
اوكان عنصركِ الأثير ففيم لا   تتكسر الأنوار فيه فيؤنسُ (٢)
أو كنت من غير الهيولى ما اهتدى   يوماً اليك الخاطر المتحسسُ
أو لا فدارك عالم الوهم الذي   نشأت به منذ القديم الأنفسُ

نظروك في الأحلام أول مرةٍ   شبحاً لميت زارهم يتكلّم
واستيقظوا لم يبصروكِ ولم يروا   في الرمس الاّ جيفةً تتهدّمُ
سألوا عن الرؤيا فقال عريفهم (٣)   ذي روحه ظهرت لكم تتجسم
وتساءلوا ما الروح قال مفسراً   طيفٌ يطوف وصورة تتوهم
صدقوا وما ضلُّوا فليس الرو   حُ الاّ الطيف في سنة الكرى تتوسم

بنت الخيالِ سليلة الوهم التي   صاغتك من عدمٍ مخيلة الورى
ولدتك ألياف الدماغ . ولم تني   طفلاً يلازم مهده متسترا
إن كنت ذاتاً في الطبيعة فاظهري   أو أظهري أثراً لذاتك مضمرا

---

(١) الكهرسة هي امواج كهربائية مغنطيسوية كأمواج الراديو والنور وما وراء البنفسجي وما تحت الاحمر الخ .

(٢) اذا كانت الروح جسما اثيرياً متكتلا متغلغلا في الجسم المادي فلا بد ان تتكسر الانوار في هذا الجسم الاثيري كما تتكسر في مرورها من وسط لطيف الى وسط كثيف وبالعكس كما تتكسر في مرورها من الهواء الى الماء بدليل ان الملعقة ترى مكسورة في كوبة الماء . وتؤنس أي ترى كقولكم آنست في الحي ناراً

(٣) عرافهم

حار الأنام بما ادعوا لك من سنىً بحثوا وسرك فيهم لن يظهرا
قد ضيعوك وأنت فيهم لمعة عجباً أغشهمُ خفاؤك أدهرا

ناء الأنام بعبء ما حملتهم تعبوا وما نبذوك في الشدَّات
مستمسكين بحبل وصلك غرةً مهما وَهى في ساعة الأزمات
وإذا مللت وصالهم ألقيتهم عن عاتقيك نُفَاضة الذرات
تشقين وحدكِ في الخلود وحظهم منه بلا ألم فناء الذاتِ
الجسم يجرم في مدى شهواته وتُحَمَّلِين عقوبة الشهوات

لا تفخري بسموّ قدرك فالذي تتفاخرين به اختراع خيالِ
ما أنتِ بين الترّهات حقيقةً إلاّ تعلة واسعِ الآمالِ
أغريك الجسد الذي اورثته قلق الضمير وسورة البلبال
فلطالما كبح الهوى متكلفاً يخشى عليك الخلد في الأهوالِ
يفديك للاخرى بدنياه وفي الدارين لم تلقي اليه ببالِ

أخسرته دنياه كيما تربحي الأخرى وأنتِ وهذه عدمانِ
لولاك لا يحيا حياة تقشف تنجيك من دينونة الديانِ
فعل الفضائل إنما هو عدّة للعالم الحاليّ لا للثاني
هو للسلام وللهناءة يُبْتَغَى لا مطمعاً في رحمة الرحمن
فهنا الحساب هنا العقاب هنا الثواب هنا الجحيم هنا نعيم جنَان

نقولا الحداد

علم النفس الحديث

التهيج الانفعالي

بعض النظريات الحديثة فيه (١)

« التهيج الانفعالي من الظاهرات السيكولوجية التي لاقت عناية متزايدة ممن تقدم من علماء النفس وممن تأخر منهم . وقد وضعت عدة نظريات حاول بها واضعوها تعليل هذه الظاهرة تعليلا علمياً . وفي هذا البحث يستعرض الاستاذ موكسلي أهم تلك النظريات التي وضعت لتعليل العوامل المسببة للانفعالات النفسية . وهذه النظريات وان لم تفسر أسباب تلك العوامل إلا انها تلقي ضوء عليها فتمهد السبيل لمن يروم التوسع بالبحث عنها »

نظرية الانفعالات النفسية

سبق أن قلنا ان لكل ظاهرة شعورية عوامل ثلاثة : الادراك والنزوع والوجدان . وما الانفعال النفسي إلاّ حالة نفسية يتغلب فيها عامل الوجدان على العوامل الأخرى، على ان هذا العامل مهما بلغت شدته لن يبطل تأثيرات العوامل الأخرى وإن كان أبرزها عملاً وأكثرها تأثيراً، فاننا لا نخاف لشعورنا بالخوف فقط، بل لشعورنا بالخطر المحدق بنا، وخوفنا هذا يستفزنا للهرب أو للمكوث في الموضع الذي نحن فيه تبعاً لنوعية الخطر المهدد لنا

ولا تظهر الانفعالات الشديدة على الانسان إلاّ عند ما تقاوم دوافعه الوجدانية مقاومة وقتية فيتعذر عليه من أثر ذلك اتيان أي سلوك مغاير لتلك الانفعالات . فمثلاً اذا ما لحق ثور هائج براكض أثناء ما يكون في حلبة السباق فان هذا الراكض سيولي الأدبار محاولاً الافلات مما أحدق به من خطر، ولكن الخوف لن يستولى عليه ما لم يتأكد من أن الثور على مقربةٍ منه وان هناك ثمة عوائق تحول دون نجاته منه . وتدل هذه الظاهرة على مرونة سلوك الانسان وعلى سرعة تغيره تلك المرونة التي تميز سلوك الانسان عن سلوك الحيوانات العليا.

ويعزى سلوك الحيوانات الدنيا الى « سلسلة الأعمال » المنعكسة » (٢) : وذلك لأن الاستجابة المماثلة للأعمال المنعكسة التي يتابع بعضها بعضاً لا تعطي مجالاً كافياً لتغير سلوك

---

(١) للاستاذ موكسلي المحاضر في علم النفس والفلسفة بكلية مورلي بلندن

(٢) Chain Reflexes

الحيوانات الدنيا عند ما يتغير المحيط الموجود فيه . الاّ ان الحيوانات بارتقائها سلم التطور استعاضت بكيفية تدريجية بطيئة عن سلسلة الأعمال المنعكسة بالتلمس [1] حتى صارت الانفعالات أساساً للمتعلم . فمثلاً إذا ما تولدت في نفس القارىء دوافع تدفعه للبروز على أقرانه في المبادىء الرياضية فان تلك الدوافع والانفعالات تجعله يكثر من التمرينات البدنية لتقوية عضلاته فيتسنى له القيام بما لا يستطيع غيره القيام به .

والواضع لنظرية الانفعالات هذه هو الدكتور دريفر [2] أحد أقطاب المذهب الهورمي أو مذهب الدوافع في علم النفس. ويتذكر القارىء أن الأستاذ ماكدوجل الواضع لأصول هذا المذهب يعتقد بأن الانفعالات المعقدة يمكن تحليلها الى انفعالات أولية تؤلف نواة كل منها غريزة من الغرائز أي ان تلك النواة تثير في نفس الشخص ميلاً فطرياً للقيام بأنواع خاصة في الأعمال عند ما يتكرر حدوث ظروف معينة .

أهم أنواع الغرائز

ويرى ماكدوجل ان أهم الميول الفطرية للانسان والانفعالات الملازمة لها هي : الهرب (الخوف) والبحث عن الطعام (شهوة الطعام) والنفور (التقزز) والاستطلاع (التعجب) والكفاح (الغضب) والأثرة النفسية (الشعور بالرفعة) والخضوع (الشعور بالضعة أو الخيبة) والحنو (التعاطف) والتكاثر (التهيج الجنسي) والاجتماع (الشعور بالعزلة) .

وكل من هذه الميول والانفعالات الملازمة لها يثير ظروفاً معينة تختلف عما سبقها في الانفعال، فالميل للكفاح والغضب مثلاً يمكن أن يثارا عند جميع الأحداث والناشئين اذا ما ضغط على أي عضو من أعضائهم. وبعد ان تتسع دائرة فهم الانسان فيحيط بمعاني الأشياء ويدرك الظروف التي تتكرر عليه ، يسهل عليه اثارة الميل الواحد في عدد من الظروف المختلفة . وقد يثير الظرف الواحد عدداً من تلك الميول مرة واحدة . وفي مثل هذا الحال تكون الانفعالات الملازمة لها كثيرة التعقيد . فالاستحسان الذي يبديه الانسان لشيء من الأشياء أو لحال من الأحوال مزيج من التعجب والشعور بالضعة وهذا الانفعال المعقد ناجم عن اثارة ميلى الاستطلاع والخضوع معاً .

ويجمع الباحثون النفسيون على ان أهم عامل يؤثر في الأفعال الانفعالية هو « النغمة الوجدانية » [3] ويقصد بهذا التعبير شدة الحالة الوجدانية للانسان فقد تكون الانفعالات ملذة وقد تكون مؤلمة فاذا ما اجتاز التهيج الانفعالي مستوىً خاصاً لشدته شعر الانسان

Affective Ion (٣) Dr. Drever (٢) Trial & Error (١)

بالتألم . وما دمنا آخذين بالرأي القائل بأن الانفعالات ترتبط بالميول النزوعية الأولية ، وان التهييج الانفعالي يبلغ شدته عند ما يقاوم الفعل النزوعي أو يحبط فعله فليس من العسير علينا أن نقرر بأن الألم الناجم عن الانفعالات الشديدة ليس إلاّ تعديل للنغمة الوجدانية بالنسبة لاستطاعة الفرد لتحقيق نزوعه أو لعجزه عن ذلك ، فاذا ما حقق نزوعه شعر باللذة وإذا ما خاف شعر بالألم . ومن منا لا يتألم عندما يمنع عن مشاهدة أمر واقع أو معرفة خبر حادث . وقديماً قيل المرء حريص على ما منع .

ولذكاء الانسان ولبعد نظره أثر كبير بتحقيق ناحية النزوع عن أعماله الشعورية وهذا ما دعى البعض من الباحثين للاعتقاد بأن ليست جميع الحالات العقلية المعزوفة انفعالات مثل الخوف أو الغضب وانما بعضها مظاهر مختلفة للذة والألم — نوعى النغمة الوجدانية الأساسيين . وذلك لأن الأفعال الانفعالية كالخوف أو التعجب أو الغضب لا تقترن باللذة ذاتها أو الألم نفسه وانما تقترن بتغيرات دقيقة لهذين العاملين بحسب ما يتوقعه الفرد المنفعل من النتائج . فمثلاً عندما يتأخر طفل عن موعد رجوعه من المدرسة فان والدته لا تخشى حدوث أمر خطر له فقط ، بل تتصوره في وسط الخطر ، وبهذا تشعر بنوع من الألم ملازم لشعورها بالخوف على طفلها . والحقيقة ان ما يشعر به الانسان من ثقة في النفس أو رجاء أو قلق أو قنوط أو يأس فشعور بمظاهر النغمة الوجدانية مرافقة لميوله النزوعية المستهدفة أموراً ستقع في مستقبل حياته . أما ما يشعر به من ندم أو أسف أو حزن فمظاهر للنغمة الوجدانية يشعر بها عندما تتجه دوافعه النفسانية نحو ما حدث أو ما مضى من أعماله .

دارون والانفعالات

تترابط الانفعالات بأنواع مختلفة من السلوك كالركض عند الخوف والضرب عند الغضب، كذلك تكون مصحوبة بتغيرات في ملامح الوجه ، كالضحك عند الفرح ، والتقطيب عند الاستياء، وقلب الشفة السفلى عند الاستهزاء، وغير ذلك من تغيرات الملامح وبحسب مايذهب اليه دارون صاحب نظرية التطور ان أغلب حركات الوجه عند الانفعال آثار لحركات كانت في الأصل ذات فوائد للافراد وللجماعات . فقلب الشفة عند الاستهزاء مثلاً أثر لحركة بدائية تشبه التكشير عن الأسنان عند ما كان يحاول الانسان البدائي نهش فريسته . وان أصل حركة الأنف عند التقزز حركة كان يأتيها الانسان الأول عندما يشم رائحة مهيجة نفاذة . ويعتقد دارون ان حركات الانسان تتكيف بمبلغ تأثير الوسط الاجتماعي المحيط به وان هذا الوسط وحده يدعو للسلوك سلوكاً خاصاً في ظروف خاصة . وهذا السبب

ذاته هو الذي يدعونا في كثير من المناسبات لتغير ملامحنا عند الانفعال وهو ذاته الذي يجعلنا نسيطر على سحنتنا عند ما نكون في وسط لا نرغب أن يرانا منفعلين ، مخفين تغيرات ملامحنا الظاهرية لكي لا تنم عن انفعالاتنا النفسانية . وهذا ما يجعل الحكم على انفعالات الانسان من تدقيق ملامح وجهه حكماً خاطئاً .

على ان هناك هيئات دقيقة في ملامحنا لا نستطيع أن نخفيها عندما ننفعل . ففي حالات انفعالية كثيرة تتضاعف فعالية الغدد العرقية فتتغير من جراء ذلك الحالات الكهربائية الخاصة بالجلد وتقاس هذه التغيرات الجلدية بجهاز خاص لا يختلف كثيراً عن الجلفانومتر . ويسمي البعض من الباحثين هذه التغيرات « بالانفعالات المنعكسة الجلفانية النفسية »(١) .

وبالاستعانة بالجهاز المذكور سهل على الباحثين درس التغيرات الانفعالية من تبدل نسبة ($\frac{ش}{ز}$) الناتجة عن قسمة زمن الشهيق في التنفس (ش) على زمن الزفير فيه (ز) . وهذه النسبة ثابتة في الحالات الطبيعية فهي لا تزيد على (٠ر٧٠) فأي اختلال في الحالات الانفعالية يؤدي الى تغير هذه النسبة . وقد دلت التجارب الدقيقة على ان الحالات العقلية المعقدة الناتجة عن كذب الانسان تنقص من تلك النسبة . وكذلك يحدث مثل هذا التأثير عند ما يضحك الانسان ضحكاً عالياً أو عند ما يستغرق في حل مسألة حسابية حلاً ذهنيًا .

التعاون بين العقل والجسم

وتدل الابحاث النفسية التجريبية على ان التهيج الانفعالي يكون مصحوباً دائماً بتغيرات جسمية معقدة بعضها ظاهر أتم ظهور وبعضها مخفي . فقد فحصت قطة بالأشعة السينية بعد ما امتلئت معدتها بالطعام فشوهدت معدتها تختض خضًا متزناً ، ثم فحصت بعد ما فوجئت بكلب يحاول الهجوم عليها فبدت عليها علامات الغضب الظاهرية ووجدت ان حركة معدتها توقفت توقفاً فجائيًا دام أكثر من خمسة عشر دقيقة بعد أن أبعد الكلب عن القطة . وان حركة قلبها تضاعفت فارتفع ضغط دمها وأخذت كبدها تفرز للدم كميات غير قليلة من السكر المخزون بها لتعوض عما استهلك في تحريك عضلات جسمها .

وجميع هذه التغيرات الجسمية تبعث في نفس الحيوان القدرة على العراك وتظهر عليه معالم الغضب . وتعزى حقيقة هذه التغيرات الى فعاليتين : فعالية العصب السمپاثوي من

---

(١) Psycho - Galvan ic Reflexes

الجهاز العصبي وفعالية الكظرين (١) — الغدتين الصغيرتين الواقعتين فوق الكلية — والكظران غدتان من الغدد الصم (الغدد التي لا أقنية لها وتفرز مواد كيميائية معقدة التركيب تدعى الهرمونات) تفرزان مادتي الكورتين (٢) والادرينالين (٣) . والمادة الأخيرة هي التي اشتركت مع الأعصاب السمپاثوية لاحداث التغيرات الداخلية في جسم القطة المسببة لانفعالاتها النفسية .

ويسعى الباحثون المعاصرون لاكتشاف كل واحد من التغيرات الجسمية المختلفة المسببة لمختلف الانفعالات النفسانية ولكن ابحاثهم هذه لم تؤد بهم الى نتائج حاسمة . ويعزى السبب في ذلك الى أن التغيرات الجسمية التي تحدث عند الغضب تحدث أيضاً عند الخوف أو عند أي فعالية عقلية شديدة كما انها تحدث في أجسام لاعبي كرة القدم قبيل دخولهم ميادين اللعب وفي أجسام الطلاب الذين سيدخلون امتحاناً من الامتحانات . وكما لا يخفى ان الانفعال النفسي الذي يشعر به لاعب الكرة أو داخل الامتحان لا يمكن أن ندعوه خوفاً أو غضباً . ومما يزيد في صعوبة البحث عن الانفعالات ان هناك طائفة منها كالسرور أو حب الاستطلاع لا تكون مصحوبة بأية تغيرات جسمية .

نظرية جيمس — لانغ

ومن أشهر النظريات الخاصة بالانفعالات النفسية نظرية جيمس — لانغ (٤) . وقد سميت بهذا الاسم لأنها في نتائج تفكير كل من الفسيولوجي الدنماركي الأستاذ لانغ والسيكولوجي الأميركي المعروف الأستاذ وليم جيمس . فقد توصل هذان العالمان لوضع اسس هذه النظرية بزمن واحد دون أن يكونا على اتصال ببعضهما . وتتلخص نظريتهما بان الانفعالات تتألف من كتلة من التأثيرات الحسية تحدثها مختلف أقسام الجسم الخارجية منها والباطنية وتعزى الاختلافات بين نوعية الانفعالات لتباين نوعية التأثيرات الحسية الحاصلة من التغيرات الجسمية المختلفة .

والواقع ان جيمس غيَّر من وجهة نظره بشكل يعاكس منطوق هذه النظرية فما ذهب اليه إننا لا نبكي لشعورنا بالحزن ولا نحاول ضرب الآخرين لشعورنا بالغضب ولكننا نحزن عندما نبكي ونغضب عندما نحاول ضرب الآخرين . ومما يقرره اننا ان جردنا الانفعالات من جميع التغيرات الجسمية لا يبقى أثر للانفعالات . ولقد جاء في الجزء الثاني من كتابه

James - Lang Theory (٤) Adrenaline (٣) Cortin (٢) Adrenals (١)

« أصول علم النفس » (١) « انني لا استطيع تصور انفعالات مجردة عن التغيرات الجسمية وكلما ازددت في التمعن بحالاتي النفسية كلما ازددت ايماناً بأن ما أظهر به من مزاج أو ما أظهره من حب للاشياء او كلف بها فانما ظواهر لتغيرات جسمية خاصة وما أن تفارقني تلك التغيرات حتى تنعدم حياتي الوجدانية فأصبح كائناً ذا تفكير ونزوع فقط » .

وقد أجريت تجارب عدة لمعرفة مقدار صحة نظرية جيمس . لانغ أهمها تلك التى أجراها السر شارلس شيرنجتون (٢) فمما قام به هذا الباحث الكبير ان قطع بعض الاعصاب الخاصة المتصلة بالفعاليات الداخلية لجسم كلب فحرم الكلب بذلك من الشعور بالاحساسات الداخلية ومع ذلك لم يظهر على الحيوان أي تغيير في سلوكه الانفعالي عند ما أحيط بظروف معينة وأجرى كانون (٣) مثل هذه التجارب على القطط ومن تجاربه انه قطع الأعصاب الخاصة بالتغيرات العضوية الداخلية وبذلك حال دون حدوث تلك التغيرات عند ما تهيج القطط فتبدو عليها جميع معالم الانفعالات النفسية . وجميع هذه التجارب لا تمكننا من ادراك ما يتولى الحيوان من شعور أثناء التجارب ، ذلك لأن الحيوانات عاجزة عن الافصاح عن شعورها الخاص، وهذا ما جعل الباحثين يركنون الى الانسان لاثبات مقدار ما في نظرية جيمس — لانغ من حقيقة .

وأظهر التجارب التي أجريت على الانسان تلك التي حقن بها عدد من الشبان بكميات متفاوتة من مادة الادرينالين ، المركب الكيميائي الذي يحدث تغيرات داخلية توافق التهيجات الانفعالية الظاهرة على الانسان . فمما صرّح به بعض اولئك الشبان انه كان يشعر بعدما حقن بتلك المادة « كأنه » بين جماعة من الناس تشاهد لعباً مهيجاً أو سباقاً حماسيًّا وادّعى بعضهم انه كان يشعر « كأنه في وجل من أمره وباضطراب لحادث موهوم او « كأنه » يتوقع حدوث أمر ممر أو « كأنه » يريد البكاء دون أن يعرف السبب الداعي لذلك . ويظهر من هذا ان الأشخاص الذين يحقنون بالادرينالين لا ينفعلون انفعالاً حقيقيًّا وانما يشعرون « كأنهم منفعلين ».

ونظرة واحدة الى نتائج هذه التجارب تكفي لادراك عدم ملاءمتها ونظرية جيمس — لانغ القائلة بأن التغيرات الداخلية تثير في النفس انفعالات مختلفة متعددة . ويستدل من تلك النتائج على أن عوامل الادراك والنزوع في التهيج الانفعالي ليست الاّ أجزاء كاملة للانفعال ، وان اختلاف نوعية تلك الانفعالات تعزى الى اختلاف تلك العوامل . ان التجارب التي أجريت على الانسان تكشف الستار عن ناحية من نواحي طبيعة العلاقة بين

---

(١) Principles of Psychology (٢) Sir Charles Sherrington (٣) Cannon

الانفعالات والأمزجة . فالادرينالين وان لم يكن كافياً لاثارة تهييج انفعالي أصلي في الانسان الاّ ان من حقن به يكون أكثر قابلية للتهييج الانفعالي من اولئك الذين لم يحقنوا به . ويستفتج من هذه بأن أمزجتنا في الحقيقة ليست الاّ آثار من تهيجاتنا الانفعالية تظل ظاهرة على وجوهنا أو فيما نأتيه من الأعمال طالما تبقى في أجسامنا العوامل المسببة لتلك الانفعالات وتتجلى الصلة الوثقى بين الأمزجة والانفعالات من النعوت التي تنعت بها أمزجة الناس في أحاديثنا العامة ، تلك النعوت التي نشتقها من أسماء الانفعالات المماثلة لها فكثيراً ما تسمعنا نقول ان فلاناً غضوب أو انه مرح وهلم جرًّا .

الامزجة وعلاقة الغدد الصم بها

ان الأمزجة كما تبدو لنا خارج المختبرات ليست الاّ مظهر ناجم عن اثارة انفعال غير كامل التكوين . فالرجل الذي يحدث له في محل شغله ما يغضبه او يزعجه ، ثم يرى ضرورة اخفاء غضبه وانزعاجه لوجود من يستاء لذلك يرجع اواره ونفسه تكاد تنفز من ذلك الغضب المكبوت ، فما ان يواجه امراً لا يستحسنه حتى يظهر عليه الغضب تارةً أخرى . ويعزى هذا الحال الى استمرار الحالات الجسمية اللازمة للانفعالات على ما هي عليه حتى بعد انتقال الشخص المنفعل من الوسط الذي سبب له ذلك الاضطراب النفسي . أما ظهور الانفعال تارة أخرى فيعزى إلى زوال العوامل المقيدة للانفعالات . والحقيقة ان الأمزجة تحافظ على الانفعالات وتكون السبب في ظهورها مرة أخرى . فالشخص الذي يركل قطة تعترض سبيله لا بد وان يكون قد سبق وتأثر من حادث أو من فعل سبب له الحنق والانزعاج . وعمله هذا صورة ناطقة للامزجة التي تحدثها الانفعالات المقيدة ولكيفية احتفاظ الأمزجة بالانفعالات ريثما تسنح الفرصة المناسبة لظهورها ثانية . وكان المتقدمون من العلماء يعتقدون بأن المظاهر النزوعية الوجدانية للحياة العقلية تعبر بعض التعبير عما يحدث في داخل جسم الانسان من تغيرات . واعتقادهم هذا جعلهم يصنفون الافراد بحسب تلك التغيرات . فما كان يعلمه هيبوكريتس الطبيب اليوناني المعروف ان الجسم يحتوي أربعة اخلاط (١) او سوائل هي الدم والبلغم والصفراء والسوداء ، وان صحة الجسم تعتمد على مبلغ انسجام ما يمتزج من هذه السوائل الأربعة فيه . وادعى جالينوس أشهر اطباء اليونان ان للانسان أربعة أمزجة كما له أربعة أخلاط كل مزاج ناجم عن خلط من تلك الأخلاط ، فمن الناس من يكون دموي المزاج ، ومنهم من يكون سوداويه أو بلغميه أو صفراويه .

---

(١) Humours

ولكن الاكتشافات الفسيولوجية الحديثة المتصلة بوظائف الغدد الصم دلت على ان أمزجة الانسان ليست الا مظاهر لمجموع شخصية ناجمة عن تغيرات داخلية متأتية عن افرازات الغدد الصم ، لكن العلماء لم يجمعوا بعد على ان افرازات الغدد الصم وحدها المسببة لاختلاف الأمزجة ، مع انهم مجمعون على ان التغيرات الطارئة على فعالية هذه الغدد تؤثر على سلوكنا وتصرفاتنا وعلى شخصياتنا بصورة عامة . ولا يسعنا ها هنا التبسط في البحث عن هذه الغدد مكتفين بالاشارة اليها اشارة مجملة (١) . وقد أشرنا سابقاً الى الدور المهم الذي يلعبه الكظران في التهيج الانفعالي وللانسان غير الكظرين من الغدد الصم : الغدد الدرقية (٢) والغدد قرب الدرقية (٣) ، وهذه المجموعتان في الغدد تستقران في الرقبة قرب الحنجرة . والغدة النخامية (٤) في الجمجمة قرب قاعدة الدماغ والغدة التيموسية (٥) أو الصعترية في الصدر ، والغدد التناسلية (٦) — الخصيتان في الذكر والمبيضان في الانثى . فاذا ما اعتور الغدة الدرقية تلف أو مرض أصاب الشخص بله وفقدان الذاكرة وقلة في كفاءته التفكيرية . وفقدان هذه الغدة عند الاحداث يسبب لهم البله الدائم أو ما يسمى بالكريتنسم (٧) . اما الغدد التناسلية فانها تسيطر على فعالياتنا التناسلية . وفقدان هذه الغدد أو ضعفها يؤدي الى انعدام الصفات التناسلية الثانوية كنمو الشعر على الذقن وخشونة الصوت في الذكور . والرقة وارتفاع ترديد الصوت في الأناث . وللغدة النخامية تأثير كبير على نمو الجسم فأقل تغير في كميات افراز الفص الامامي من الغدة يسبب تغييراً ظاهراً في السلوك وزيادة هذا الافراز تجعل الشخص كثير الحركة شديد الحدة وقلتها تجعله بطيء الحركة خاص الفعالية كثير الخوف والحذر . هذه الحقائق وغيرها مما لا يتسع لذكرها المجال أدّت بالبعض من العلماء للاعتقاد بأن الغدد الصم مفتاح سلوك الانسان وسر شخصيته .

نظرية كريشمر

ويعتقد الدكتور كريشمر (٨) بان أمزجتنا ليست من منتجات غددنا الصم فحسب بل نتيجة لجميع الفعاليات الكيميائية الجسم . ويذهب هذا الباحث الكبير الى ان الناس من حيث بناءهم الجسمي ، يصنفون ثلاثة أصناف : أصحاب البنية الضعيفة (٩) وأصحاب البنية الرياضية (١٠) وأصحاب البنية المترهلة (١١) . آما أفراد الصنف الأول فهزيلة أجسامهم ، معتدلة قامتهم ضيقة أكتافهم واسعة صدورهم ضعيفة عضلاتهم ، ويمتاز أفراد الصنف الثاني بحسن

---

(١) ومن أراد الاطلاع على الموضوع بصورة شافية فليراجع كتاب « الغدد الصم وتأثيرها في شخصياتنا » تأليف المعرب

Gonads (٦) Thymus (٥) Pituitry (٤) Parathyroids (٣) Thyroids (٢)

Athletic (١٠) Asthenic (٩) Dr. E. Kretschmer (٨) Cretinism (٧)

Pyknic (١١)

تكوين بنيتهم وباعتدال قاماتهم أو بطولها وبقوة بدنية تفوق المعدل . أما أفراد الصنف الثالث فيتصفون بقصر القامة أو باعتدالها وبضخامة الأعضاء وببروز الجوف البطني وبظهور السمنة على أجسامهم .

ويصنف كريشمر الجنون الى صنفين أيضاً الجنون السوداوي الحاد (١) والشيزوفرينيا أو الجنون الخفيف (٢) ففي الصنف الاول تكون حالات المريض سريعة التبدل تتنقل بين الابتهاج الكلي والكآبة الكلية تنقلاً فجائياً فعندما يكون في حالة الابتهاج الكلي تظهر عليه معالم الفرح الشديد والحركة الكثيرة وعدم تمركز انتباهه ، وعندما يكون في حالة الكآبة الكلية يبدو كثير التأمل تلوح على وجهه آثار الكآبة والبؤس . أما المصابون بالجنون الخفيف فانهم ينتقلون بأفكارهم انتقالاً كلياً عن المحيط الذي يعيشون فيه فكأنهم يعيشون في خيال أو كأنهم في عالم وهمي لا صلة له بهذا العالم الذي نحن فيه .

وبحسب ما يذهب اليه كريشمر ان الذين يصابون بالجنون الخفيف هم الذين كانوا يعيشون عيشة انفرادية لا يستطيبون حركة أو فعالية، مستسلمين للخمول وللكسل ، ومن شأن هؤلاء شديدي الكتمان يسود الشذوذ طباعهم . والمصابون بالجنون السوداوي هم الذين كانوا في حياتهم السوية كثيري المرح منغمرين في لجة المجتمعات والمنتديات ومن شأنهم أن يكونوا سريعي التأثير شديدي الحساسية. وقد استنتج كريشمر من دراسة حياة المصابين بالأمراض العصبية أن ثمة ارتباط بين أولئك الذين يصابون بالجنون السوداوي وبين أصحاب البنية المترهلة ، وان هناك علاقة وثقى بين المصابين بالشيزوفرينا أو الجنون الخفيف وبين أصحاب البنية الضعيفة الهزيلة أو أصحاب البنية الرياضية .

ويرى الدكتور كريشمر أيضاً ان للناس مزاجين السيكلوثيمي (٣) والشيزوثيمي (٤) . فالسيكلوثيمي من الناس من كان كثير الاختلاط أنيس المعشر سريع التفرد والتبدل تارةً يكون كثير الانشراح والابتهاج ، وأخرى يكون شديد الكآبة وجسمه أميل الى الترهل في الاعتدال . أما الشيزوثيمي منهم فمن كان هزيل الجسم أو ذا بنية رياضية قليل الاختلاط كثير الكتمان قليل الانفعال يخفي بين حنايا نفسه ما ينتابه من هموم ومن محن وآلام . أما المزاج الغالب على الناس فمؤلف من مزيج غير متناسب من صفات تينك المزاجين .

والخلاصة ان المصابين بالجنون السوداوي وبالجنون الخفيف يعتبرون ممثلين لطرفي مقياس يشير لجميع الاختلافات المزاجية والدرجة الوسطى بهذا القياس فتشير للأشخاص المتزنين الذين لهم عقلية سوية . وكذلك يمكن اتخاذ مقياس بهذا القياس للاختلافات الجسمية

---

(١) Manie-Depressive Insanity (٢) Schizophrenia or Dementia Praccox

(٣) Cyclothymes (٤) Schizothymes .

وهذا المقياس يتراوح بين أقصى أنواع شذوذ الجسم المترهل وبين أقصى أنواع شذوذ الجسم المزيل . ويرى كريشمر ان هذه الاختلافات في الأمزجة وفي البناء الجسمي تتوقف على مجموعتين من المواد الكيميائية التي تفرزها الغدد الصم الى الدم ، تمثل الواحدة منهما الصنف السيكلوثيمي وتمثل الأخرى الصنف الشيزوثيمي على ان الدكتور كريشمر يسلم مع الباحثين الآخرين في هذا الميدان بأن أبحاثنا السيكولوجية والفسيولوجية بهذه الناحية في البحث العلمي ما زالت غير كاملة لصعوبة البحث ولتعقيده . ومما يزيد في هذه الصعوبة ان التجارب التي تجري على الأشخاص لقياس مبلغ اختلافاتهم المزاجية تؤثر في سلوكهم فتكيفها تكيفاً مؤقتاً وهذا ما يجعل الباحثين يشكون في نتائج تلك التجارب .

حسن السلمان

معجزات جديدة في الجراحة

طبيب يتحسس بأصابعه اللطيفة جزءاً كشف عنه من دماغ مريض بعد فتح الجمجمة ، فاذا اهتدى الى حيث يريد ثبت هناك رقاً خفيفاً من مادة أشبه بالمطاط ليقوم مقام جزء من الغشاء الذي يحجب الدماغ . ان هذا الرق لشيء أثمن قيمة مما هو في الحقيقة . ذلك بأنه قد يأتي يوم يمكن أن يستخدم فيه لاعادة بناء أجزاء من الجسم أصابها التهتك والفساد .

من خصائص هذا الرق انه مرن فيتمدد الى ثلاثة أضعاف بعديه طولا وعرضاً ، ثم يعود الى حجمه الاصلي . وهو لا يحتوي على مطاط . انه مصنوع من مادة يقال لها « فبروجن » Fibrogen وهي مادة في الدم تساعده على التخثر وتكوين كتلة جامدة تمنع تدفق الدم . سمي هذا الرق : الرق الفبريني Fibrin Film ويصنع في شرائح رقيقة لينة أو في قوام ورق البرشمان أو تكون طيات أسطرانية . وخصائصه الآلية يمكن التحكم فيها وضبطها بحيث يحدد مقدار الزمن الذي يمتصه فيه الجسم الحي . وهذه الرقوق المرنة أشبه شيء من حيث الخصائص الآلية ، بالرباطات العضوية المرنة التي تكون في الرقبة ، فاذا غلظت شابهت الشعر أو الصوف في خاصياتهما . وبزيادة التخلخل في ذراتها يمكن الحصول على ضروب مختلفة من الفبرين Fibrin تشابه تراكيب مختلفة من تراكيب الجسم .

هذه واحدة من المعجزات التي اكتشفت في دم الانسان في الاشهر القليلة المنصرمة ، وهي بلا شك احدى الامجاد الطبية في عصرنا هذا ، وسوف يكون لها آثار فذة في الصحة العامة . والعمل في سبيل معرفة ما سوف يؤدي اليه هذا الاكتشاف من الممكنات الطبية يجري الآن بواسطة نخبة من الكيميائيين بتوجيه الاستاذ إدون كوهن في كلية هارفرد الطبية .

ومن هذه الممكنات ما اكتشف حديثاً وسمي « زبد الفبرين » Fibrin Foam وهي مادة أشبه شيء بالقطن المنفوش استعملت بنجاح في وقف تدفق الدم من الجروح ، حتى ان انبثاق الدم من أوعية دموية تهتكت وقطعت تقطيعاً ، يقف بمجرد استعمال هذه المادة وقفاً تاماً سريعاً . أضف الى ذلك ان هذه المادة يمكن تركها في الجروح لأنها مستخلصة من بروتينات الدم فيمتصها الجسم من غير حدوث أي ركس (رد فعل) في الجسم .

من أنواع النبات

الطبي

﴿ الداذي ﴾ الهيوفاريقون عشب من الفصيلة الهيوفاريقونيـة اسمه النبـاتي Hypericum perforatum وبالانكليزية St, John's Wort وبالفرنسية Millepertuis; Herbe de Saint Jean بزوره مرَّة وهو عَطِر محَرِّك كان كثير الاعتبار عند الأقدمين في تخفيف الوجع .

﴿ ذَنَبُ الثَعْلَبِ ﴾ نبات يشبه ذنبه معروف بِلِسَانِ الحَمَل في مصر عريض الورق أصفر الزهر حبُّه كالحماض من الفصيلة البلانتجنيْة اسمه النباتي Plantago major وبالانكليزية Waybread وبالفرنسية Grand Plantain تستعمل سنيبلاته غذاء للطيور وهو قابض وقيل طارد للحمى وتستعمل أوراقه اليابسة كخلاصتها السائلة مدرَّة للبول .

﴿ ذَنَبُ الخيْلِ ﴾ عشب من الفصيلة الاكويسيتية اسمه النباتي Equisetum arvense وبالانكليزية Field Horse-tail وبالفرنسيـة Prêle des champs وهو قابض قليلاً وقاطع لنزف الدم ومتوفر فيه السليكا (اوكسيد السليكون) .

﴿ ذُو خَمْسِ أصابعَ ﴾ البَنْجَنْكُشْت معرَّب پَنْج انْكُشْت بالفارسية أي خمس أَصابع . ويقال الفَنْجَنْكُشْت والبَنْجَنْجَسْت والبَنْجَكُشْت وباليونانية أَغْنُس معناه الطاهر أو العفيف ، ويسمى في مصر كَفّ مَرْيَم وفي مفردات ابن البيطار الأَوْثَد وحَبُّ الفَقْد شجيرة من الفصيلة القربينيّة تزرع في الحدائق المصرية وتنبت في الواحة الصغيرة أوراقها مفصصة تشبه الأصابع وأزهارها في سنابل طوال بيض تضرب الى اللون البنفسجي اسمها النباتي Vitex Agnus-castur وبالانكليزية Chaste-tree وبالفرنسية Gattilier ; Arbre au poivre وهذه الشجيرة كانت رمز الى الطهارة أو العفة عند الأقدمين فقد عدوها مضادة التحريض للشهوة ولكن الأجدر اعتبارها محركة لها على رأي الأطباء عدا فوائد أخر ذكرتها كتب الطب القديمة .

﴿ الرسينون ﴾ السليخة شجرة متوسطة من الفصيلة الغارية اسمها النباتي Cinnamomum Cassia وبالانكليزية Cassia tree, Cassia وبالفرنسية Laurier casse, Casse يبلغ ارتفاعها ٤٠ — ٥٠ قدماً . أوراقها مثل الحربة طوال قابلة التكسير . قريبة الشبه بالقرفة ووطنها الهند الصينية وما والاها حيث تغرس . عرفت منذ أقدم العصور كتابل ، وورد ذكرها في التوراة ، وفي كتابات الاغريق الأقدمين وضمن أنبتة الصين قديماً منذ ٢٧٠٠ ق . م . وهذه الشجرة بأكملها عطرة تنشرح لها النفس. يستعمل قلفها عوضاً عن القرفة الحقيقية إلاّ انه يعتبر أحط درجة . وهي تزرع في وطنها عادة من أجل قلفها وثمارها الفجة (براعمها) وأوراقها التي يحصل منها على دهن بالتقطير فيتداوى بالبراعم ويدخل القلف ضمن التوابل .

﴿ زبيبُ الجَبَل ﴾ هو حبّ الرأس نبات من الفصيلة الشقيقية وطنه أوربا وآسيا الصغرى اسمه النباتي Delphinium Staphisagria وبالانكليزية Stavesacre وبالفرنسية Dauphinelle Staphysaigre, Staphisaigre بزوره الناضجة تشتمل على عدد من شبه القلويات وتستعمل من الظاهر لابادة الحشرات . وهي تنتج بالأخص شبه القلوي المسمى « ديلفينين » وهو بلورات عادمة اللون تذوب في الكحول والايثير والكلوروفورم ويستعمل في الطب مضاداً للتشنج والتقلص والألم العصبي .

﴿ الزَرُنْبة ﴾ هو الزرنبد والزَرُنباد وعرْق الكافور عشب معمر من الفصيلة الزنجبيلية يشبه السُعد اسمه النباتي Curcuma Zedoaria وبالانجليزية Zedoary وبالفرنسية Zérumbet ou Zédoaire وطنه جزائر الهند الشرقية وأصوله الجافة عطرة تشتمل على دهن متصعّد وراتينج ومادة غروية وهي كالزنجبيل يتداوى بها معدية ومخرجة للارياح .

﴿ السنانير ﴾ اسم يطلق في مصر على الأملج معرب آمله بالفارسية ويقال الاهليلج الاملج . والأطباء يسمونه الأملج الهندي . وهو ثمر شجيرة من الفصيلة الافوربية اسمه النباتي Phyllanthus Emblica وبالانكليزية Emblic Myrabolan وبالفرنسية Myrobalan Emblic تنبت في جزيرة سرنديب (سيلان) والهند والملايو والصين وغيرها. أوراقها ريشية ظريفة ولذا قد تزرع الشجيرة في الحدائق للتزيين ثمارها خضر كروية حامضة الواحدة منها في حجم « البلية » ونواتها كبيرة نسبيًّا مرغوب فيها لعمل المربيات . وهي مليّنة مبرّدة . وفي الهند تستعمل الثمار والأوراق وقشر الساق في الدباغة .

محمود مصطفى الدمياطي

باب المراسلة والمناظرة

مجلة علم النفس

والزمان الوجودي

حركة مباركة تلك التي حفزت جماعة من أهل هذا الجيل إلى تكوين الجمعية الفلسفية المصرية وتأليف جماعة علم النفس التكاملي وإنشاء مجلتها التي نحن بصددها الآن ، ولقد تفضلت جماعة علم النفس فأهدتنا العدد الأول من هذه المجلة التي نرجو لها طول العمر ، لتكون أداة فعّالة في نشر المعرفة والعلم ، ومجالاً لذوي الاختصاص يقررون على صفحاتها المبادىء ويتساجلون في الآراء وينهلون من موارد الثقافة ، فينشرونها في الناس ضياءً منيراً وأشعة لمّاعة فيّاضة بالخير والبركة .

أبْرَك من هذا كلّه ان يكون لهذه الجماعة ومجلتها ظهيراً خطير الشأن ممثلاً في شخص أميرة جليلة القدر هي الأميرة شيوه كار ، فاليها نوجه وافر الشكر على نهضتها وأخذها بيد العلم في زمان قلّ فيه نصراء العلم وغاض معين الوفاء للمعرفة وشاع فيه الدجل والدجاجلة ، فكان عملها هذا نبراساً يستضاء به ونهجاً يُتَأسّى به ، فإلى سموها أوفر الشكران على ما أسدت للعلم وما تسدي لغيره من نواحي الحياة في هذه البلاد . ومن قبل انتعش العلم وزهى الفن وأثمر الأدب في ظل ظهراء كان منهم أمراء وأميرات وأناسٌ من عامة الشعب أذلوا المال للعلم فزال المال ومات الجاه وبقيت ذكراهم بالعلم وحده .

وفد على عمر بن الخطاب أحد أبناء هرم بن سنان ، فسأله عمر أن يسمعه شيئاً من مدائح زهير بن أبي سلمى في أبيه ، فلما فعل قال عمر : والله لقد كان يجزل فيكم القول ، فردّ عليه ابن هرم قائلاً : ووالله لقد كنا نجزل له العطاء : فأسكته عمر بقوله :

« ذهب ما أعطيتموه ، وبقي ما أعطاكم »

بقي بعد ذلك خصومة لم نكن من جناتها علم الله ، ولكن « مجلة علم النفس » بادرتنا بها ، إذ نشرت في صفحة ٨٠ من عددها الأول عبارات عن كتاب « الزمان الوجودي » تأليف الدكتور عبد الرحمن بدوي عرّضت فيها بالمقتطف ومحرّر المقتطف ، ومهرت هذه العبارات بامضاء ی . م ، فأرادت أن تخفي اسم الكاتب وهو ولا شك دكتور يوسف

مراد أحد رئيسَـيْ تحريرها ومدرس علم النفس بجامعة فؤاد الأول .

وقبل ان نعرض الى ما جاء في هذه العبارات خاصًّا بالمقتطف ، يحملنا الواجب الصحفي والأمانة العلمية أن نتناول المجلة نفسها بالـكلام والنقد ، فان بعض أوضاعها وما نشرته من البحوث فيه من المآخذ ما لا ينبغي أن يفلت من النقد ، فان تصدير هذا العدد بـكلمات من أربعة باشاوات أمرٌ لا يخلو من اتجاه ، ما كان لرجال يعملون للتـكامل النفسي أن يلجئوا اليه ، فان فيه دلالة على شعور بالنقص في رجال يتمثلون الـكمال ، وفي عصر لم يصبح فيـه للالقاب ذلك الرنين الذي خيل لمحرري هذه المجلة ان يكون له أثر في عقول الناقدين . فنحن في عصر لا قيمة فيه لشيء غير الحق والحرية . أما استخدام الالقاب والأسماء واستجداء النفع بها ، فأمرٌ مضى زمنه وأنقضى عَـهْـدهُ . وأثر الاستجداء في عبارات هؤلاء بين ظاهر ، وأكبر الأدلة عليه تصـدير المجلة بكلمات هؤلاء ، كأنما يقال للناس : انظروا ، هؤلاء الأبطال يناصروننا . عفواً . لقد مضى زمن عبادة الأشخاص . ورُدَّ الى القيمة الذاتيـة اعتبارها في عصر حرية الفـكر .

كذلك وقع في مواضـع من المجلة هنات لغوية وأسـلوبية كثيرة كقول بعضهم « كريات حمراء » وهي قطعاً « كريات حمْر » ولا شيء غـير ذلك في لغة العرب . كذلك اسـتعمل لفظ « عُـصَـاب » للدلالة على معنى لفظ Neurosis الأعجمي اشـتقاقاً من « عَصَـب » وهو اسم جامد فلا مانع من الاشتقاق منه . ولـكن المصيبة أن يُـنسَـبَ اليه فيقول الـكاتب « عُـصابيُّـون » أي المرضى بالعُـصاب . وجاء من صيغة « فُـعال » في اللغة أسماء أمراض كثيرة مثل زكام وصداع وزحار ، فهل يقال للمزكومين زكاميون وللمصدوعين صداعيون وللمزحورين زحاريون ؟ إنما هذا عبث باللغة بل إجرام يستحق العقاب لو ان في القانون مادة تعاقب من يمعن في العبث باللغة ، كالمـادة التي تعاقب من يمعن في العبث بالأمن العام .

قال دكتور يوسف مراد بالذات : (ص ٨١) — « ... وقد برع حقـًّا (أي مؤلف كتاب الزمان الوجودي) في محاولته تهيئة ذات القارىء لاختبار هذه الآنات من الديمومة التي تـكون نسيج الوجود و لِتَـوَجُّـدِها ، أقصد ادراكها بالوجدان » . اهـ . وإذن يكون لفظ « التوجُّـد » عنده مساوياً لقولك « الادراك بالوجدان » أو « الادراك الوجداني » ولاشك في أن هذا اللفظ كأنما استمدَّ من معاجم كتَّـاب الأقباط في عصر محمد علي .

وجاء في ص ٦١ عبارة : « ملخصـة عن كتاب Self Analysis K. Horney حلل نفسك » .

ولست أعلم كيف يكون عارفاً بالانجليزية من يترجم Self Analysis بعبارة « حلّل نفسك » . ألم يقرأ صبري جرجس صاحب ذلك المقال عبارة « اعرف نفسك » : know thyself ؟ فانها وزان « حلل نفسك » في العربية ، ولكنها في الانجليزية مختلفة عن Self Analysis كل الاختلاف ، وهذه ترجمتها « تحليل الذات » لا « حلل نفسك » . أما « حلل نفسك » فانجليزيتها Analyse thyself . فاذا كان هذا كله في عنوان مقال ، فما بالك بما في المقال نفسه ؟

وفي ص ٢٥ : العضلات الملساء : وهي المُلْس، والغدد الصماء : وهي الصّمّ. وقال الغدد الادرينالينية ، وهذه الغدد مصيبة عظمى . فهما غدّتان لا غُدد ، وهذا خطأ علمي ، ثم انهما في العربية الكُظْرين . انظر لسان العرب ص ٤٥٨ ج ٦ : والكُظْر والكُظْرَة شحم الكليتين المحيط بهما والكظرَة أيضاً الشحمة التي قدام الكلية فاذا انتزعت الكلية كان موضعها كظراً وهما الكظران » .

وجاء في دائرة المعارف البريطانية ص ١٧٩ ج ١ طبعة ١٤

Adrenal Glands, two flattened yellowish brown bodies, about 2 in long which lie on the upper anterior surface of the kidneys, called also suprarenal glands.

ثم هي اذا عرّبتها قلت « أدرينال » فاذا نسبت اليها فهي « أدرينالية » فلماذا نقول « أدرينالينية » أي ننسب الى المنسوب اليه في اللغة الأعجمية adrenalin اذا لم نكن على جهل باللغتين ؟

يا قوم : إذا كانت بيوتكم من زجاج ، فلماذا ترجمون الناس بالحجارة ؟ يا قوم قلتم في ص ٢٥ : التوازن الهرموني ، وهي في العربية التوازن التّوري ، ولا أذكر لكم المصدر فابحثوا بأنفسكم واطلعوا ، قبل أن تؤلفوا ، على آداب عصركم ان كنتم مؤمنين برسالتكم .

ولا شك كذلك في انه من حقنا أن نناقش دكتور يوسف مراد الحساب على كل كلمة وردت في نقده هذا . فقد دلّ به أولاً انه غير متصل بثقافة عصره ، في مصر على الأقل ، فقد كان من الواجب عليه أن يعرف أن محرر هذه الصحيفة لم يخضع يوماً من الأيام لوحي غير وحي ضميره وعقله ، ثلاثة عقود ونيفاً من الزمان اشتغل فيها بالصحافة والتأليف والترجمة والنشر ، فتعريض يوسف مراد في نقده بأن جماعة أوحت اليه بنقد الكتاب مهاترة ، لا تجديه نفعاً ولا تفيد صاحب « الزمان الوجودي » شيئاً ، لأن صاحب هذا الكتاب حتى لو فرض جدلاً بأن في صفحات كتابه هذا جوهرة من جواهر الفكر النادرة ، فليس محرر هذه

المجلة ولا أصدقاؤه ، ملزمين بأن يبحثوا عن هذه الجوهرة في صندوق من صناديق القمامة وضعها فيه المؤلف وأمعن في اخفائها بين محتوياته .

يقول الاستاذ يوسف مراد (ص ٨١) ما نصه : « فصاحبها (أي صاحب المقتطف وفي الحق انه محررها) لم يشأ أو لم يستطع أن ينقد الكتاب وما فيه من مذهب وأفكار ، فراح يلفق أخباراً عن آراء أناس فيه لست أدري كيف سوّلت له نفسه أن ينسب اليهم هذه الزاعم » اهـ . وفي الحق ان نفسي ما سوّلت لي شيئاً ، وانما ذكرت أقوالاً قيلت في « الزمان الوجودي » أمام فئة من أهل الرأي والمكانة السامية في هذا العصر ، فنقلتها وكنت أميناً في النقل . ذلك بعد أن اطلعت على ذلك الكتاب وأبديت فيه رأياً ، فكان ما نقلت عنهم تعزيزاً لرأيي فيه .

ثم يقول الاستاذ مراد (ص ٨٢) مانصه :« ثمّ حاول (أي محرّر المقتطف) أن يدّعي شيئاً من العلم بالفلسفة فذهب يناقش تصدير الكتاب بعبارات هي أبلغ دليل على أن صاحبها بينه وبين الفلسفة وفهمها مراحل طويلة » اهـ .

ولقد تجنى دكتور مراد على محرّر هذه المجلة أعظم التجني في عبارته هذه . فاني لم ادّع العلم بالفلسفة ولا بغير الفلسفة ، إذ ليس في ما نقدت به ذلك الكتاب شيئاً يدل على هذه الدعوى . فاستاذ علم النفس دكتور يوسف مراد تخيل اني ادعيت شيئاً ، ثم راح يتجنى به عليّ كأنه أمرٌ واقع . وأظن أن هذا مرض نفسي ، يعرف الدكتور طبعاً اسمه الأعجمي . ولعمرك كيف يكون موقف النقد والنقّاد في هذا العصر ، اذا كان مآل كل نقد ان يخرج للناقد من يقول له أنت « جاهل » ، من غير أن يفند نقده بحقائق علمية واقعة أو نظريات مقبولة في العقل . واني لأرجو أن يعتقد دكتور يوسف مراد ان ألقابه العلمية لا تغني عنه أمام الحق شيئاً . فإما الحجة وإما الاعتراف بالعجز او بالحق ، والاعتراف بالحق أولى بمحبي الحكمة . ولعلّ يوسف مراد لم يكتب في هذا النقد الاّ حرفي ى م . واليك الدليل :

دكتور مراد لديه لقب في الآداب ، وهو مدرّس علم النفس بجامعة فؤاد الأول . وليس من بين ألقابه ما يدل على ان له صلة بالفلسفة وبخاصة الميتافيزيقا التي يترجم عن مذهب فيها كتاب الزمان الوجودي . واذن فالمنطق يساوي بيني وبينه في الجهل بالفلسفة ، فكيف به يحكم على نقدي بأنه بعيد عن الفلسفة واني بيني وبين فهم الفلسفة مراحل طويلة ، وهو لا يفضلني علماً بالفلسفة ، ولا أفضله جهلاً بها ؟

ولكني لا أستطيع ان أنكر ان دكتور مراد عالم بعلم النفس ومدرس لهذا العلم بجامعة فؤاد الاول ، وليس له في هذا العلم من المؤلفات غير كتيّب نشر في مجموعة « إقرأ » عنوانه

«شفاء النفس» . وفي «شفاء النفس» ما يؤذي النفس . جاء في ص ٩٥ من ذلك الكتاب:

« تمتاز فلسفة فرويد (وليس لفرويد فلسفة وانما له مذهب في التحليل النفسي) بكونها ميكانيكية (ولعمرك ما هي الفلسفة الميكانيكية ؟) فانها تنظر الى الانسان كأنه آلة عديمة الحرية خاضعة كل الخضوع لقوى خفية لا يمكن التغلب عليها الا بالحيلة » . اه .

وجاء في ص ٩٧ : « أما فلسفة ادلر فهي على نقيض فلسفة فرويد ، تمتاز بكونها غائية اختيارية تفاؤلية . ونعلم ان المذهب الغائي أو مذهب العلة الغائية على نقيض المذهب الميكانيكي » . اه

وإذن فدكتور مراد مصمم مرتين على نعت مذهب فرويد بأنه ميكانيكي . والحق يأستاذ علم النفس، استغفر الله ، بل مدرّس علم النفس، غير ذلك . واليك الدليل :

جاء في كتاب : المدخل الى التحليل النفسي ما يلي .

Introduction à la Psychoanalyse, traduction française, P. 67,

« لا نريد أن نصف ونبوّب الظاهرات لا غير ، بل نريد أيضاً أن ننظر فيها على انها دلالات على أثر القوى التي تعمل في النفس ، وعلى انها مظهر للنزعات التي ترمي الى هدف محدود ، والتي تعمل سواء أفي اتجاه واحد أم في اتجاهات متقابلة ، اننا نسعى ان نكون فكرة ديناميكية Conception dynamique للظاهرات النفسية » .

وقال العالمان هسنار وريجس : A. Hesnard, E. Regis ضمن فصل عنوانه : Le Psychodynamisme في كتابهما La Psychoanalyse ما يأتي :

et l'on pourrai appliquer le terme Psychodynamisme à cette conception dynamique de l'esprit

ذلك بعد أن عرضا المذاهب التي تقدمت بمذهب فرويد ونقداها ، ثم قررا مذهب فرويد على هذا النحو .

واليك مزيداً. فقد جاء في كتاب الأستاذ روبرت وودورث Robert S. Woodworth وهو أستاذ علم النفس بجامعة كولمبيا ص ١٧٠ ف ٥ طبع Methuen, London, 1931 ما يأتي بالنص :

Freud's mental mechanisms of defence mechanisms — better called (١) dynamisms, as there is nothing mechanistic about them—are useful concepts in the psychology of personality.

---

(١) See W. Healy, A. F. Bronner, A. M. Bowers, The Structure and Meaning of Psycho-analysis (Judge Baker Foundation, 1930, p. 192)

ومحور هذه العبارة قول المؤلف (نقلاً عن ثلاثة أساتذة هم « هيلي » و « برونر » و « بوورز ») ان الأولى أن يقال dynamics بدلاً من mechanics لأنَّ ما يتكلم فيه فرويد لا يمت الى الفكرة الآلية بسبب . والفرق بين بحوث الظواهر النَّفْسِيا آلية ، وبحوث الظواهر النَّفْسِيحَرَكية ، معروفٌ مذكور في مظانّ هذا العلم .

واني لأرجو أن لا يتبادر الى ذهن الدكتور أن هذين الاصطلاحين يجريان على قاعدة الكتّاب الأقباط في دواوين محمد علي الكبير ، بل هما يجريان على قاعدة عربية سليمة هي قاعدة « التركيب المزجي » كقولك بُخْتَنَصَّر ومَعْديكرب وحَضْرَمَوْت وبَعْلَبَك . فالأول : نَفْسِيا آلي Psychomechanic والثاني نَفْسِيحَرَكي Psychodynamic . كذلك لا ينبغي ان يتبادر الى ذهن الدكتور الفاضل اني أجهل ان علم الميكانيكا قسمان : علم الأجسام الساكنة Statics وعلم الأجسام المتحركة dynamics ، ومن هذين المعنيين أخذ الذين انتحلوا المصطلحين في علوم النفس والاجتماع وغيرهما، وطبقوهما فيهما بمعنى مجازيّ صرف . ومقولة الميكانيكا تنصرف الى القسمين معاً : السكون والحركة .

وبعد : فاذا كان الدكتور لا يفضلني علماً بالفلسفة ، ولا أفضله جهلاً بها ، فكيف به في نفس علمه ؟ أيحق لي أن أقول انه يجهل مثل هذه الفروق المفصلة بين مرامي المصطلحات التي يستعملها في علمه نفسه ؟ معاذ الله . فيوسف مراد دكتور في الآداب ومدرس علم النفس بجامعة فؤاد الأول . ومع هذا فمن الجائز أن يكون قد نقل كتابه « شفاء النفس » عمن لم يحسن الوقوف على مثل هذه الفروق الدقيقة في معاني المصطلحات وما تؤدّي اليه من الفروق العلمية فزلّ وضلّ . وناقل الكفر ليس بكافر على كل حال .

بقي بعد ذلك ان دكتور يوسف مراد ترجم الجزء الثالث من كتاب الطب التجريبي تأليف « كلود برنار » الذي أخرجته وزارة المعارف مطبوعاً باشرافه فضلاً عن اشتراكه في الترجمة . وبعد الاشراف والمراجعة ظهر في الجزء الذي ترجمه الدكتور مذهب جديد لم يقل به « كلود برنار » إذ جاء فيه ان للانسان قلبين قلباً أيمن وقلباً أيسر ، نقضاً للمذهب القديم القائل « ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه » . فلما نبهنا على هذا الخطإ الفاحش في عدد فبراير الماضي من المقتطف ، خرج دكتور مراد « بالصمت عن لا ونَعَم » ، وجاء اليوم يهز قلمه المنعوت بالدكتوراه وبفن تدريس علم النفس ، يدافع عن عبد الرحمن بدوي ، فكان مثله كالملك الحزين في قصة كليلة ودمنة اذ قال له الثعلب بعد أن فاز به : يا عدوّ نفسك : تري الرأي للحمامة وتعجز عنه لنفسك ؟

وليته تريث واطمأن فلم يتورَّط . لقد يرى هذا الدكتور ان نعتنا أسلوب « الزمان الوجودي » انه كالرصاص : صلب بارد ثقيل ، من مفاخر الكتاب . من مفاخر الكتاب ان لا يفهم وان يكون كالرصاص . وان لا يعي ما فيه عقل ولا قلب ، وان المؤلف ألغزَ الكتاب ترفعاً به عن العامَّة ، لأنه « عمل فلسفي رائع يحتاج فهمه وتقديره إلى جهد وملكة » . ولماذا لا يقول دكتور مراد هذا القول للعلامة الكسيس كارل ؟ فقد شرح في كتابه « الانسان ذلك المجهول » نفس الفكرة التي أنزلها عبد الرحمن بدوي منزلة الطلسمات والاحاجي ، وفصَّلها في وريقات قليلة ، فكأنك تتلقى عنه الوحي إذ يوحى . واذا كان دكتور مراد لم يصله خبر ذلك فليقرأ الفصل الخامس من ذلك الكتاب فانه ولا شك سيستْفيد فائدة جلّى ويَعرف ان علاقة الزمان بالنفسْ البشرية لا تحتاج الى « منطق التَّوتُّر » (أعيذك منه بالعقل الأوّل) ولا الى « الدياليتكيَّة التوترية » ، ولا الى غير ذلك من معالم « الفلسفة الظاهريانية » على حد ما يقول دكتورك بدوي . واليك اسم الكتاب ان كنت جاهله ، وناشره ان كنت لا تعرفه ، وعنوان الفصل وموقعه ، وسنة الطبع أيضاً ؟

Man : The Unknown : by Alexis Carrel, pub. Hamish Hamilton Ltd, 90 Great Russell Str., London, 1935 ; chap. 5, "Inward Time pp 159—190.

اقرأ هنالك سحر الكلام وسحر المنطق وسحر العلم ، واستوعب صلة الزمان بالوجود النفسيّ كأنك تنهل من مورد عذب في يوم قائظ .

لماذا لم يلغز « كارل » ما كتب في « الزمن الباطن » ؟ لأنه عالم يفقه ما يقول : ولماذا ألغز بدوي ما كتب في الزمان الوجودي ؟ لأنه دكتور بأمر الجامعة المصرية ، وفيلسوف بأمر طه حسين ، الذي لا يعرف من الفلسفة الاّ بقدر ما يعرف دكتور مراد وبقدر ما أعرف أنا ، فهو يستوي معنا في الجهل بها ، ومع هذا فهو يوزع ألقاب الفلسفة على الفلاسفة حتى لقد قال دكتور مراد في (ص ٨١) من مجلة علم النفس .

« وقد استحق الدكتور عبد الرحمن بدوي عن جدارة ما لقبه به الدكتور طه حسين بك حينما قال ، في أثناء مناقشة هذه الرسالة في كلية الآداب لدرجة الماجستير : إنه أول فيلسوف مصري ، ويحق لمصر فعلاً أن تفخر بفيلسوفها الشاب » . اهـ

ومَثَلُ يوسف مراد وطه حسين هنا ، كالطفيلي الذي يتشفّع به طفيلي مثله ، انتصاراً لثالثٍ دلَّ الواقع على عجزه عن ستر تطفله ، فاتخذها دريئة يحمّي بها على صندوق القمامة الذي يدعى ان به جوهرة لم يرها أحد من الناس . وإنما هي أثر الوهم إذا جسدته الدعاية .

ترجم «هنري كوربن» عن هيدجر مختارات نشرها بعنوان « ما الميتافيزيقا » ونشرها في سنة ١٩٣٧ ، صُدِّرَت بالآتي :

Qu'est—ce Que La Metaphysique ? Par Martin Heidegger. Suivi d'extrait sur l'être et le temps et d'une conférence sur Hölderlin. Traduit de l'allemand avec un avant propos et des notes par Henry Corbin.

والفصل الثالث من هذه المجموعة بعنوان .

Extraits du livre sur L'Etre et le Temps

من صحيفة ١١٥ الى صحيفة ٢٠٨ . والظاهر من عناوين الفصول التي ترجمها «كوربن» ان الدكتور بدوي قد سطا على هيدجر هذا، فأخذ من كتابه جزءًا ضمنه رسالة « الموت » التي نال بها الماجستير ، وجزءًا ضمنه رسالته التي نال بها الدكتوراه . واليك عناوين بعض الفصول عن ترجمة «كوربن» دلالة على ذلك :

(1) L'Etre - pour - la mort et la possibilité pour la réalité — humaine de former un tout.

(2) L'impossibilité apparente de saisir et de déterminer ontologiquement ce qu'est la totalité achevée d'une realité - humaine.

(3) L'expérience possible de la mort des autres et la possibilité de saisir une realité - humaine totale

(4) L'Etre - pour - la — mort et la banalité quotidienne de la réalité — humaine.

وقد نقل « كوربن » في منتخبه هذا ١٣ قطعة متفرقة من كتاب هيدجر في « الوجود والزمان » وعناوين هـذه القطع برهان حي ناطق على اصالة دكتور بدوي في النقل من جهة وفي تخليط ما يمكن فهمه في الأصل ويستعصى في النقل من جهة أخرى . أما اننا لا نعرف الألمانية كما يقول يوسف مراد محاولاً أن ينتقصنا ، فهذا لا ينفي أن عبد الرحمن بدوي قد أقام وليمة غثة للناس على حساب هيدجر وغيره من الألمانيين ، ولا نريد بذكر هذه الترجمة الا ان أحد الأساتذة أعضاء لجنة الامتحان جابهه بأنه ترجم حرفيًا عن هيدجر وأثبت في كتابه صفحات عديدة وردت في المنتخب المترجم الى الفرنسية بدون اشارة الى مصدرها. أما ان النقل كان عن الأصل الألماني او غيره ، فانه نقل وكفى .

نضيف الى يوسف مراد فوق ذلك ان مؤلف «الزمان الوجودي» يرجع في ص ١٥١ من كتابه هذا الى الترجمة الفرنسية عمل كوربن ، ويعتذر بانه لم يحصل على الأصل الألماني . فما

قولك أيها الصوَّال الجوَّال ؟ وقد اتضح لنا في هذا النقد ان ما نقل إلى الفرنسية أزيد من ١٠٠ صفحة لا ثلاثين كما تدعي أيها الدكتور الفاضل !

. . وهل يريد يوسف مراد ان ندله على مراجع فرنسية أخرى أخذ عنها بدوي ولم يذكرها. ندله على بحث في الزمان نشرته مجلة فرنسية اسمها Recherches Philosophique ؟ كذلك نجد بدوي يتكلم في زمانه الوجودي في ص ٢١٢ عن « التاريخية الكيفية » وهو نقل صريح عن هيجل، ثم من كلام هيدجر في كتابه « الوجود والزمان » . اما « الكيفية » فسبقه بها مئات من الألمان اصحاب مذهب « الفينومنلوجية » مثل مكس شيلر وهوسرل وهيدجر نفسه .

ولقدْ عجبت لماذا يتولى يوسف مراد الدفاع عن عبد الرحمن بدوي ويذهب به الحمس في الدفاع عنه هذا المذهب العجيب ، ويحتر في الذود عن زمانه الوجودي ذلك الاحترار ، حتى قرأت مقدمة المجلة التي أودعها الأستاذ مراد ذلك السرُّ . والسر راجع الى تبادل الاستخفاء وراء المؤلفين الاوربيين . أما وقد سطا بدوي على هيدجر الالماني ، فقد هيئت الفرصة لمراد أن يسطو على صاحب مذهب علم النفس التكاملي ، كما يدعوه ، فيقفا ليقول الأول إنه صاحب مذهب في الفلسفة، ويقف الثاني ليقول انه صاحب مذهب مبتكر في علم النفس، وذلك بمرأى ومسمع من أساتذة الجامعة ومدرسيها في نهاية عام دراسيّ ، كما حدثني أحد الثقاة .

وأنت إذا قرأت صحيفتي ١١ و ١٢ من الجزء الأول من مجلة علم النفس شعرت بأن دكتور مراد يحاول أن يوهمك بأنه صاحب مذهب حقيقة في علم النفس وأن هذا المذهب يدعى علم النفس التكاملي، ويتسرب بأسلوب استخفائي ، متسلّلاً الى فهمك تسلل من يتشح بالظلام ليسلب خفية ، حتى يلقي في روعك انه مبتكر ذلك المذهب ، ناسياً انه بذلك إنما يسطو بجرأة على مذهب الاستاذ « وليم م . مارستون » وينتحله من غير أن يعرف للخجل حمرة ولا صفرة ، عاقداً مع عبد الرحمن بدوي معاهدة على الاستخفاء ثم السَّلب .

أما كتاب الأستاذ « مارستون » فاليك وصفه وعنوانه :

Integrative Psychology : A Study of Unit Response, By William M. Marston, in collaboration with C. D. King and E. H. Marston. Pub. London Kegan Paul, Trench, & Trubner Co. Ltd. 1931.

يا قوم : إذا كانت بيوتكم من خزف ، فان بيد الناس حجارة من صوّان ، بل حجارة من سجيل .

اسماعيل مظهر

مكتبة المقتطف

التعليم في رأي القابسي

من علماء القرن الرابع

لأحمد فؤاد الاهواني — مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر — ٣١٨ صفحة

هذا الكتاب هو رسالة قدمها الأستاذ احمد فؤاد الأهواني لينال درجة الدكتوراة من جامعة فؤاد الأول . وقد ظفر بالدرجة العلمية ، ولم يبق إلاّ أن يظفر كتابه بما يستحق من النقد بعد أن أصبح من حق القراء أن يقرءوه وأن يقولوا فيه كلاماً هو — على كل حال — دليل الحفاوة به وحسن القبول له .

وهذا الكتاب ينقسم قسمين : نص الكتاب القابسي - من علماء القرن الرابع - في تفصيل أحوال المتعلمين وأحكام المعلمين ويقع في ٧٧ صفحة من الكتاب . والقسم الآخر مناقشة « لآراء القابسي وعرض لها وموازنة بينها وبين الحديث من آراء التربية والتعليم . ويقع هذا القسم في ٢٤٠ صفحة من الكتاب .

وقد أحسن الدكتور الأهواني في نشر كتاب القابسي نفسه . فقد كان مخطوطاً في المكتبة الأهلية بباريس . ويظهر أنه ليس منه نسخة أخرى في مكتبات العالم المعروفة . فجهد أن تكون في دار الكتب المصرية نسخة شمسية . وأفلح جهده . ولكنه لم يكتف بذلك . بل أخذ القابسي وقرأه وصحبه طويلاً وتابعه في كل رأي يعرضه أو حُكم يسوقه ورأى أن يُقدّم القابسي الى قراء العربية في حدود نصوصه ونصّ عبارته ، وأن يقدمه إليهم في الوقت نفسه مشروحاً ومعروضاً عرضاً علميًّا ومناقشاً فيما تعرَّض له من الآراء والأحكام .

فخرج بذلك العمل كتاب ضخم يحمل كتابين ، ومجهود يتوزع مجهودين .

والحق أن نشر النصّ لم يُحوج الدكتور إلى كبير من التعب أو العسر . فان النموذج

الخطي الذي نشره من هذا المخطوط يبدو جميل الخط واضح القراءة . فلم تكن هناك إلاّ صعوبات التحريف في النسخ . وهي صعوبات ذلّل الدكتور بعضها وترك بعضها راضياً من ذلك الترك بأن يكتب في الهامش هذه العبارة « كذا في الأصل »

وهذا الرضى من الناشر لا يُعفيه من أن يتعرَّض قليلاً للوم اللائمين ، فالدكتور محقق قبل أن يكون طابعاً أو ناشراً . ولو أنه أتعب نفسه قليلاً في الوقوف عند بعض الكلم المحرف لاستطاع أن يصل إلى شيء قريب من الأصل وليس الأصل كله . وقد فعل ذلك في بعض الكلمات فكان موفقاً في تصحيحه .

أما البحث الذي وقفه الدكتور على كتاب القابسي فذلك عمل اقتضاه تعباً وعسراً . وإن القارىء ليرى آثار الجهد في كل صفحة من صفحات البحث . وما من المبالغة أن نقول في كل عبارة .

والحق أن في صديقنا الأهواني صبراً على البحث ودأباً على التنقير حتى لأعرف أنه ينفق الساعات في البحث عن كلمة .

وربَّ قائل يقول ان رسالة القابسي الصغيرة الحجم ما كانت تستحق هذا العناء الضخم من الدكتور الأهواني ، وما كانت تستحق هذه المئات من الصفحات . . ! وقد يكون في ذلك بعض الحق ! فان في هذا البحث الطويل مواطن معادة مكرورة . ولم تكن هناك حاجة ملحة الى التكرار الذي يشعر به قارىء الكتاب حتى ليبين ذلك في الصفحة الواحدة وبين بضعة من السطور .

ففي ص ٦٣ « وهم — الجرمان — أيضاً فقراء لأنهم كانوا يعيشون عيشة البداوة لذلك قبلوا مع السرور هذا المذهب الجديد — المسيحية — الذي يمجد الفقر والبساطة » . وبعد سطرين اثنين في الصفحة نفسها « كيف وجدت المسيحية أرضاً خصبة بين الشعوب الجرمانية» السر في هذا يرجع أن مبادىء المسيحية حققت آمالهم ووجدوا فيها الراحه الخلقية التي لم يعثروا عليها في مكان آخر »

وفي ص ٦٥ « ذلك أن الطالب في الأزمنة القديمة كان يتلقى العلم على مدرسين مختلفين لا رابطة بينهم ، فهو يذهب إلى معلم اللغة ... وإلى عازف القيثارة ... والى معلم الخطابة » . وبعد بضعة أسطر — وبالضبط بعد خمسة أسطر — يقول : —

« وكان التلميذ في اليونان والرومان يتلقى علومه على مدرسين متباينين لا تجمعهم صلة .. فواحد يعلمه القراءة وآخر يقوّم لسانه وثالث يلقنه الموسيقى »

أليس في هذا تكرار واطالة للكلام . ثم ما الفرق بين الأزمنة القديمة » « وأزمنة

اليونان والرومان ؟ » أليست كلها من القديم . أم أن القدم هنا درجات بعضها خلف بعض ؟ ؟

ومن أمثلة الاطالة في الكتاب التعرض لنظام التعليم عند اليونان والرومان بكلام طويل ، مع أن خلاصته في صفحتي ٦٦ ، ٦٧ كانت تغني الغناء كله .

والتعميم في الأحكام في مقام يقتضي الدقة العلمية التاريخية غير جائز إلاّ من العابرين في علومهم غير الراسخين ، وما أظن الدكتور الأهواني من هؤلاء ، فهو دقيق وهو أمين على الحقائق العلمية .

فكيف يجوز له أن يقول في تعميم غريب « وبقيت جزيرة العرب يعبد أهلها الأوثان ويسجدون للأصنام » — ص ٦٩ — مع أن المسيحية واليهودية كانتا في نجران واليمن ويثرب ، كما كانت المسيحية وحدها في مملكتي الحيرة والغساسنة ؟

وفي الكتاب فصل عن « الكتاتيب في الاسلام » . وهو فصل يبدو فيه أثر تحصيل كبير . إلاّ أنه كان ينقصه ما نشر في ص ٥١ حول انتشار الكتاتيب بعد الصدر الأول من الاسلام . فان هذا الكلام كان موضعه في ص ٥٧ أوجب من موضعه في ص ٥١ . حتى يخرج الفصل كله مستوياً قائماً بذاته بدلاً من هذا التفكك .

والمؤلف يطيل في بعض المواطن من غير حاجة الى تطويل . ويوجز في مواطن أخرى حيث تدعو الحاجة الى البسط والاسهاب لا الى الشح والايجاز . ففي ص ٣٨ أراد أن يثبت — في كلام طويل — أن القابسي من علماء القرن الرابع لا الخامس لأنه توفى سنة ٤٠٣ !! وتلك بديهية ما كانت تحتاج الى مثل هذا الاسراف في الكلام . وما كانت تحتاج الى مثل هذه العبارة الخطابية « ثم أن عالماً يولد في سنة ٣٢٤ ويتوفى في سنة ٤٠٣ لجديرٌ أن يعد من علماء القرن الرابع لا الخامس لأن معظم حياته وفتوّة شبابه وبأس رجولته واكتمال علمه وعقله وعمله وقع في ذلك القرن » !!! طبعاً أيها الصديق !

ومن أمثلة الايجاز العجيب ما وقع في ص ٧٦ . فقد أراد أن يرد السر في انتهاء تعليم الصبيان الى أهل السنة « الى أسباب كثيرة » . ثم اكتفى من هذه الأسباب الكثيرة بسببين اثنين ..!. فما هذا الاسراف في الوعد يا أخي والبخل بالموعود ؟؟

وفي بعض أحكامك يا أخي تناقض لا أدري بمَ أعلله . فقد ذكرت في ص ٧٦ « أن كثيراً من المفكرين في الاسلام ترفعوا عن تعليم الصبيان ... وقد صرّح بذلك أصحاب رسائل اخوان الصفا » . وفي ص ٢٠٥ عدت تقول « ولعلهم — اخوان الصفا — تركوا

الصبيـان وشأنهم يتعلمون في الكتاتيب لأن تعليمهم يتم بالتحفيظ لا بالتفهيم » . فلم يكن ذلك ترفعاً كما قلت في ص ٧٦ ؟؟ !

بقيت بعد ذلك أخطاء مطبعية لو صححتها لانصفت الى كتابك . ولـكنها ليست كثيرة . منها

ص ١٤ : — الفهرسة . وهي الفهرس أو الفهرست بالتاء المفتوحة ، ص ٨٧ سطر ٢٠ : — يعلمنهن والصحيح يعلمونهن ، ص ١٦ : — عمَّر والصحيح عُمِّر بالبناء للمجهول ، ص٢٠٨ : ابن مسكوية بالتاء . وهي بالهاء ، ص ٣٢١ : — تاريخ التمدن الاسلامي أربعة أجزاء — والصحيح أنها خمسة .

وعلى الرغم مما بدا في كتابك أو بدا لي فيه فهو عمل طيب وجهد كثير . وما أكثر انصافك وأنت تناقش « كارا دي فو » وخليـل طوطح والدكتور ابراهيم سلامه والقابسي نفسه فأرى الحق بجانبك في كثير من المواضع ، وأرى فيك من النصرة لقومك ما تشكرك عليه العروبة أطيب الشكر وما يثني عليك العلم به أحسن الثناء .

• • •

٢ — مرايا الناس

للسيدة وداد سكاكيني

مطبعة ومكتبة مصر — ١٥٣ صفحة من القطع المتوسط

قرأت للسيدة وداد سكاكيني حفنةً من المقالات في تاريخ الأدب موزّعة بين صحف سوريا ومصر فلفتني منها شيئان : — قوة في التعبير ما كنت أتوقعهـا من امرأة كاتبة ، ومعرفةٌ بالتاريخ الأدبي ترْجحُ قوة أسلوبها وقوة تعبيرها : فقلت في نفسي : سيُرجى من هذه السيدة للأدب العربي خير كثير .

وما أخطأني التوقع ولا كذبتني الفراسة ، فقـد أخرجت المطبعة العربية مجموعة من القصص الصغيرة باسم هـذه السيدة . وشاء فضلها أن تشرفني باهداء نسخة منهـا . وقد صنعت بي خيراً حينما فعلت ذلك . فمـا كنت أنتوي أن أحتجز لنفسي نسخة بالشراء ، لانني مُعْرض عن قراءة كثير من القصص التي يكتبها الناس في هذه الأيام .

وأول ما زهدني في قراءة قصص كثير من قصاص اليوم استهتارهم باللغة والاسلوب استهتاراً يخشى منه الطغيان على النثر الرفيع . فلا تجد في كثير مما يكتبون إلاّ ارتطاماً في حمأة الجهل باللغة وأسرار الأساليب . وجل ذخيرتهم من الكتابة ألفاظ يديرونها ويقلبونها

كالببغاء ولا يعرفون مواضعها من الكلام لعجز في ثقافتهم اللغوية . فهي من حيث كونها ألفاظاً قائمة بذاتها — منتهبة من هنا ومن هناك . أما انزال هذه الألفاظ منازلها ووضعها مواضعها من الكلام فذلك ما لا يعنيهم ، لأنهم يحفظون ألفاظاً ولا يعرفون كيف يستعملونها : وذلك شر ما يمنى به الكاتب .

ويتبع الجهل باللغة جهل آخر بالنحو الصحيح . فاجراء الكلام عندهم على القواعد النحوية فيه تضييق عليهم ومضايقة لهم ، لأنهم لم يعدوا أنفسهم أو لم يعدهم تعليمهم للسلامة من أخطاء النحو .

وما رأينا اجتراء على الأصول كما يجترىء هؤلاء المتكاتبون ، وما سمعنا أن قاصاً في أي بلد من بلدان الله العاقلة يطلع على الناس بكتاب وأداته اللغوية معطلة مفلوجة .

وشيء آخر زهدني في القصة العربية ، وهو خروجها على قواعد الفن القصصي الصحيح . فانك لتقرأ القصة الغربية فتعرف رأسها من ذيلها وترى فيها التحليل ومتابعة الحوادث والتشويق والعقدة والصدق في الاداء . ولا تنس الأسلوب فتجد في ذلك كله متاعاً ولذاذة .

وخير القصاص من جمع باعتدال بين صحة الأسلوب وقواعد الفن القصصي . فاذا طغى الأسلوب فهناك انشاء ولا فن ، وإذا طغى الفن فهناك قصة ولا أسلوب . . . ولقد كان في بداية توفيق الحكيم طغيان الفن على الأسلوب واللغة . إلاّ أنهُ أخذ يدلف في قصصه الأخيرة الى التقريب بين الاثنين . وهو سائر في ذلك الى غاية نحمدها له ويحمدها له الأداء العربي الصحيح .

وفي بداية السيدة وداد طغيان الأسلوب واللغة على الفن . وما في ذلك بأس أول الأمر . ففي ذكائها وحسن استعدادها ما يبشرنا بمقامها المحمود في عالم القصة .

ولا أحسبها من ذلك يائسة ولا خائفة . فقد عرفت من كلمة الأمير مصطفى الشهابي في تقديم كتابها أن نقده لكتابها الأول « الخطرات » كان أليماً على نفسها . إلاّ انه افادها وجعلها أكثر توفراً على اتقان فنها .

والحق أنها في هذه المجموعة الجديدة متقنة محسنة . وما أبرها وهي تصف بنات جنسها وتحنو على من لم تساعفهنّ الاقدار بالأمل المنشود عند كل فتاة . وفي قصة « هاجر » يبدو عطفها على هذه الفتاة التي راحت ضحية الأقدار . فظلّت على عنوسها بينما ظفرت أختاها بالزواج السعيد .

وقصة « الضرتان » تمثل المرأة الشرقية حينما تصبح ضرة فتتحالف مع عدوتها على زوج واحد يمثل العدو المشترك .

وجل قصص الكتاب يدور حول المرأة الشرقية في أدوار حياتها : فتاة كانت أم زوجة أم أرملة . متعلمة كانت أم جاهلة . والمؤلفة في ذلك بارعة قادرة . وهل أقدر على وصف المرأة وتحليلها إلاّ امرأة مثلها ؟

والمرأة الشرقية هي المرأة في كل قطر شرقي ما دمنَ خاضعات لعقلية وتقاليد وبيئة تكاد تكون واحدة . وفي مصر والعراق وفلسطين كثيرات من أمثال هاجر والشيخة عطية وعطرشان وغيرهنّ إلاّ أن أسماء الأماكن ووصف بعض العادات يخلع على الكتاب ثوباً سوريّاً بحتاً .

ولستُ مع من يرون في ذلك بأساً فالقصص العربي يجب أن يكون وحدة في أصوله . أما ما عدا ذلك من مميزات الاقليم وفروق اللباس وتباين العادات المحلية فلا بأس من اظهاره . فان القاصة الاسترالية المشهورة « مس هنري هاندل ريتشاردسون » تصبغ أدبها كله بصبغة استرالية موضعية . ولم يمنعها ذلك أن تأخذ مكانتها في القصة الانجليزية .

على أن لتلك « المحلية » أثراً في الأدب العربي كله . فهي تصوير لبيئة هي جزء من الوطن العربي الأكبر ولقد أحسنت السيدة وداد عرضها لمن لم تتح لهم الأقدار زيارة تلك الأقطار .

ومع حرص السيدة على التنوق في ألفاظها وأسلوبها ولغتها فان أخطاء قليلة وقعت في الكتاب لا بأس من الاشارة إليها . ولو أنها كانت ممن يستهين بالتوجيه أو يغضب للتصحيح ما حفلنا بتنبيهها إليها .

ففي ص ٢١ : العنوسة البغيضة . وفي كتب اللغة العنوس لا العنوسة

وفي ٣٩ : فرط بالشيء وهو يتعدى بفي . قال تعالى « ما فرّطنا في الكتاب من شيء »

وفي ص ٣٣ : كأنهن كملائكة . واجتماع أداتين للتشبيه في تشبيه واحد هو من عجيب الكلام . والصحيح : كأنهنّ ملائكة .

وفي ص ٤٣ : عند أي عيلة تخدم . فهي تستعمل العيلة بمعنى العائلة والأسرة .

والعيلة الفقر . قال تعالى « وان خفتم عيلة فسوف يغنيكم الله من فضله »

وفي كثير من صفحات الكتاب : يكاد أن . ووقوع أن في خبر يكاد أقل كثيراً من حذفها . وذلك في الشعر . أما في النثر فالأعلى حذفها . وقد جرى القرآن — وهو أفصح الكلام — على هذا . راجع سورة النور آية ٣٥ ، والنساء آية ٧٧ ، والأعراف آية ١٤٩ . وكثيراً غيرها . ولكنها في الحق هنوات لا تشوّه مراياك الصقيلة الجميلة التي فيها من صفاء ذهنك ونصوع فكرتك شيء كثير .

محمد عبد الغني حسن

تعقيب على نقد كتاب

فلسفة الأخلاق في الاسلام وصلاتها بالفلسفة الاغريقية

تناول الاستاذ عبد السلام هارون الطبعة الثانية من كتابي هذا بالنقد فكان ذلك عناية طيبة مشكورة منه ، وقد أفدت من نقده الحق كثيراً ، إلاّ أني أستأذنه في كلمات :

١ — حين جعلت « مسكويه » مثلاً للأخلاق الفلسفية الصريحة اردت بذلك أنه كان صريحاً في اعلان أخذه عن الاغريق وتأثره بهم ، ولم أرد بالصراحة هنا ان مذهبه كان فلسفياً صرفاً لا يشوبه شيء من الدين .

٢ — في الكلام عن العفة ، وهي فضيلة القوة الشهوية ، يذكر المؤلفون قديماً وحديثاً أنها وسط بين رذيلتين ، هما : الشَّرَهُ والخمود ، لا الشِّرَّةُ التي هي النشاط كما يقول الأستاذ . ذلك بأن الشَّرَه هو الرذيلة التي تكون من إفراط القوة الشهوية ، وهو رذيلة دائماً بينما الشِّرَّةُ أي النشاط ممدوح في أغلب الاحوال .

هذا ، وللأستاذ خالص الشكر والتقدير .

محمد يوسف موسى

البلاغة العصرية واللغة العربية

تأليف سلامه موسى — المطبعة العصرية — ١٤٨ صفحة مصقولة من القطع الصغير

الكاتب الكبير الأستاذ سلامه موسى رجل عوّدنا دائماً أن يفكر تفكيراً يستبق به عصره ، ويطفر طفرات واسعة الى الأمام تبدو غريبة للوهلة الأولى ، ولكن سرعان ما تثبت الأيام نجابة رأيه وعمق تفكيره . ومن تلك الطفرات التقدمية البارعة ، ذلك الكتاب الجديد الذي جاد به قلمه بعد أن آثر الانزواء زمناً ليس بالقصير ، وأعني به كتاب « البلاغة العصرية واللغة العربية » الذي فتح فيه الأستاذ سلامه فتوحات جديدة ونحا نحواً جديداً يحمل القارىء على أن يهزّ رأسه موافقاً مرة ، ويفغر فاه داهشاً مرة أخرى .

فقد دعا المؤلف الى « التميّع » في اللغة العربية بدل التجمد ، والى توقي المترادفات لأنها « ثرثرة صبيانية يضيع بها الوقت » والى التغلب على عقبة الاعراب في اللغة العربية لأن الاعراب « لعبة بهلوانية للذهن واللسان ولن نحسنها الاّ بعد ان نربي عضلات قوية تستجيب بسرعة » ودعا كذلك الى أن نجعل اللغة العربية لغة علم لا لغة وجدان ، أي أن نخاطب العقل لا القلب ، ودعا الى هجرة « أحافير اللغة » لأن اللغة التي تلابس المجتمع هي لغة السوق والمكتب والنادي والكتاب والجريدة لا لغة المعجمات التي تصان وتحفظ كما تصان لغة

الكهنة في المعابد عند المتوحشين. وقال ان اللغة العربية ليست محددة، فإن معظم كلماتها مسيبة في المعنى تحتمل هذا المعنى ونصفه، فضلاً عن معنيين مشابهين. ودعا الى التجديد الدائم المستمر في اللغة لأنها بمثابة النقود التي نتعامل بها، وكثيراً ما يكون فيها النقد الزائف أو القديم الذي بلي وانمسح منه نقشه. واللغة الحيّة تتفاعل مع المجتمع فتنحط بانحطاطه وترتقي بارتقائه، أي انها تتطور. وحين تتطوّر ينشأ بينها وبين المجتمع اتصال فسيولوجي ووظائف عضوية كما بين اليد والذهن، كلاهما يخدم الآخر وينتفع به. ودعا الأستاذ سلامه إلى تعليم الطلاب أسلوباً اقتصاديًّا مضغوطاً دون أن نحمّل التلميذ عبءْ كلمات لا ينتفع بها في تفكيره العصري. وأنحى باللائمة على الذين يسعون إلى ترجمة التعبيرات والمصطلحات العلمية إلى اللغة العربية، وقال ان في ذلك خروجاً على العرف المتواضع عليه في جميع أرجاء العالم، ولاجدوى من إضاعة الوقت في محاولة تعريب المصطلحات العلمية، لأن اللغة لا يمكن لها أن تعيش مستكفية لا تستمد التعبير الحسن من غيرها من اللغات. ثم قارن المؤلف بين اللغة العربية وزميلتها الانجليزية وأبان أن متعلم العربية يلاقي عقبات لا يلقى مثلها متعلّم الانجليزية. ومنها أن عدد حروف الكتابة تزيد عندنا على مئة حرف لأن لكل حرف شكلاً معيناً يتبع موقعه في الكلمة. وفي لغتنا يجب أن نميّز الجنس. أما الانجليزية فلغة غير جنسيّة. وثمة مشكلة أخرى في اللغة العربية، وهي مشكلة تمييز الأرقام والتثنية، ثم مشكلة الجمع والهمزة والتنوين والتصغير وغيرها من المصاعب التي تفوق الحصر.

وأعتقد أن الصديق الكبير محقّ في كثير مما دعا اليه، لأن التباين بين لغة الكتابة ولغة الحديث في مصر وفي البلدان الناطقة بالعربية كبير جدًّا يدعونا الى الاهتمام بالتقريب بينهما صيانةً للغة التي تهدف قبل كل شيء الى الفهم. ولتفسير ذلك يقول الأستاذ سلامة اننا ينبغي أن نصل يوماً ما في سائر الموضوعات الى لغةٍ تنقل الينا الفكرة الفنية أو العلمية أو الفلسفية بمثل الدقة والسهولة اللتين ننقل بهما الى أذهاننا عدد الألف أو المليون.

والحق أنني قرأت كتاب الاستاذ سلامة بتشوّق ولذة، وأقبلت على درس ما جاء فيه من نظريات باهتمام أثارته في نفسي تلك الأفكار التي إذ أوحيت الى المؤلف عكف على تدوينها ونشرها. وكثيراً ما كنت أتوقف لحظات عند كل عبارة، ولا أملك إلاّ أن أبدي اعجابي بحسن صياغتها مع دقة تعبيرها واصالة فكر كاتبها. وقد حدّد المؤلف في مستهل كتابه غايته من كتابته فقال ان مصنفه «بجميع فصوله هو بحث سيكولوجي في القيم اللغوية. وإذا كان هذا يجرّ الى أبحاثٍ أخرى اجتماعية أو تاريخية، فان الغاية الأولى يجب أن تبقى ماثلة وهي اننا ننظر الى اللغة خلال العدسة السيكولوجية». وأحسب أن هذا النهج جديد على اللغة العربية

غير أن الأستاذ سلامة لم يرد أن يختتم بحثه دون الاشارة الى مشروع معالي عبدالعزيز فهمي باشا الخاص بكتابة اللغة العربية بحروف لاتينية . فأثنى على المشروع وشايعه الى حدٍّ ما ووصفه بأنه قفزة واسعة الى الأمام . وإني وإن سلمت معه ان اللغة العربية ليس من السهل الوقوف على خباياها ولا من اليسير امتلاك ناصيتها ، إلاّ اني لا أميل الى ابتداع حروف جديدة للكتابة تزيد مشكلات اللغة تعقيداً . وإذا كان لا مناص لنا من استعمال الحروف اللاتينية ، نخيّر لنا أن نهجر العربية الى الانجليزية أو الفرنسية مثلاً ، من أن نحاول ترقيعها بحروف لا هي باللاتينية ولا هي بالعربية ، فنخسر العربية ونسيء الى اللاتينية .

وكتاب « البلاغة العصرية واللغة العربية » مكتظ بالآراء التي يحسن أن لا يمرّ عليها القارىء مرّ الكرام . فهو يتحدّى ويطلب النزال والصراع ، ويدعو جهاراً الى المصاولة والمبارزة . فلعلّ في هذه الاشارة ما يشحذ الأقلام لتفنيد آراء الأستاذ سلامه والانتفاع بها ، فهي ثمار لخبرة نصف قرن .

هذا وقد أهدى المؤلف كتابه إلى الأستاذ احمد أمين بك لانه أوحى من حيث لا يدري بتأليف هذا الكتاب . فقد نشر الأستاذ احمد أمين مقالاً عن اللغة العربية في « الثقافة » واطلع عليه الأستاذ سلامه موسى ، فعنّ له أن يتوسع ويتبحر في شرح ما أوجزه الكاتب وخرج من هذا العناء بكتاب « البلاغة العصرية واللغة العربية » .

إنه كتاب جدير بالقراءة والدرس للمتعة والفائدة والاطلاع على ما فيه من توجيهات صائبة

وديع فلسطين

نفر - رس - إس

قصة بقلم سمو الاميرة شيوه كار — ترجمها عن الفرنسية الاستاذ اميل مراد

لصاحبة السمو الأميرة شيوه كار جهود موفقة في عالم الكتابة الى جانب الجهود العظيمة التي تبذلها في سبيل الخير ، ومنذ عام أو أكثر تناولنا في هذه المجلة كتابها النفيس عن جدّها العظيم محمد علي ، وها نحن نكتب عن قصة استوحتها من جلال التاريخ المصري القديم وهي تصور غرام الملك نى أوسر رع براقصة صغيرة .

وقد استطاع خيال سمو الاميرة أن يرسم في إطار جميل عهداً من عهود الفراعنة الزاهر أو على حد قول الأب دريتون « انطلق هذا الخيال حرّاً مصبوغاً بصبغة التاريخ القديم — هي قصة خيالية مؤثرة لأميرة سالفة تقصها أميرة حالية ، قصة خلابة كقصص ألف ليلة وليلة ولكن سياقها بسيط منسق كالرسوم الأثرية » . وقد ترجمها في أسلوب لطيف الأستاذ اميل مراد وأخرجتها دار المعارف في نسق مطبوعاتها الجميلة .

الروائع لشعراء الجيل

أصدر الشاعر الأستاذ محمد فهمي الجزء الأول من مجموعة الروائع اشعراء الجيل متضمناً نخبة من قصائد الشاعرين النابغين م. ع. الهمشري وأبو قاسم الشابي مع دراسة تحليلية لكل منهما وانه لما يشرف الجيل الجديد ان يضطلع شعراؤه بحمل رسالة الشعر العربي بعد شوقي وحافظ والزهاوي وأمثالهم من شيوخ الشعر وأعلامه . والمشاهد أن أغلب انتاج المدرسة الحديثة في الشعر التي من أقطابها الشاعران م. الهمشري وأبو القاسم الشابي يتميز بطابع الشخصية والأصالة . فالشاعر الحديث قد تنحى شيئاً فشيئاً عن الوصف المباشر للبيئة والمجتمع الذي يعيش فيه كما كان المشاهد في أشعار أولئك الأعلام السابقين وجعل أكثر همه الانطواء على أحاسيسه النفسية والانصات إلى أعماق وجدانه حيث يتسمع صدى خطوات الزمن وأثر الهزات العاطفية ، ثم يترجمها كما يحسها في هاتيك الأعماق لا كما تحدث في الحياة السافرة . وان قصائد النبي المجهول، وفي ظل وادي الموت، والصباح الجديد، وغيرها من شعر أبي القاسم لابرز دليل . اسمعه يقول في النبي المجهول.

في صباح الحياة ضمّخت أكوا بي وأترعتها بخمرة نفسي
ثم قدّمتها اليك فأهرقت (م) رحيقي ودستَ يا شعبُ كأسي
فتألمت . . . ثم أسكتُّ آلامـي وكفكفت من شعوري وحسي
ثم نضّدت من أزاهير قلبي باقة لم يمسها أي انسي
ثم قدّمتها اليك فمزّقت ورودي ودستها أي دوس !
ثم ألبستني من الحزن ثوباً وبشوك الصخور توجت رأسي

وترى الهمشري يقول في قصيدته جنا الفاتنة : —

ها هو الليل قد أتى فتعالي نتهادى على ضفاف الرمالِ
فنسيم المساء يسرق عطراً من رياضٍ سحيقة في الخيال
نضر المغرب الذكيّ رباها فهي تحكي مدينة الأحلامِ
نفحت في الخيال منها زهورٌ غير منظورة من الأوهام !

واستمع الى الشابي يقول في قصيدته صلوات في هيكل الحب : —

عذبة أنت كالطفولة كالاحلام كاللحن كالصبـاح الجديدِ
كالسماء الضحوك كالليلة القمراء كالورد كابتسام الوليد . . .

وفي قصيدته في ظل وادي الموت : —

نحن نمشي وحولنا هاته الأكوان .. نمشي لكن لأية غايه؟..
نحن نشدو مع العصافير للشمس وهذا الربيع ينفخ نايه
نحن نتلو رواية الكون للموت ولكن...ماذا ختام الروايه؟

وفي قصائد الهمشري المغرّد والعوْدة . واليمامة . نشاهد إحساساً بالطبيعة وامتزاجاً بها هو في المدرسة الحديثة نتيجة الفرار من دنيا الناس والعزوف عن ضجيج المجتمع والانصات الى الاصداء الهاتفة في قرار النفس . . والمشاهد في مجموعة الروائع ان كلاً من الشاعرين الهمشري والشابي قد أطلق لخياله العنان يخلق ما شاء في أجواء مترامية من الاحساس الطليق وفي شاطيء الاعراف للهمشري نرى قوة التخيل قد وصلت الى ابداع عالم ثانٍ (عالم الموت) حيث يسترسل الشاعر في وصفه بمهارة وقدرة حتى لنكاد تحسه وتستشفه بوجدانك فيقول في وصف شاطيء الأعراف (شاطيء الفناء) .

يستريح الزمان والموت فيه   بعد طول التطواف والجولانِ
وكأن الزمان خامره الخو   ف فأضحى مع الردى في احتضان
وتلاشى به رويداً رويداً   ثم أهوى عليه كالوسنان
فاذا بالفناء يحكم فرداً   فوضوياً على جلال المكان ...!

***

وتواتيك أنةٌ وعويل   من ظلام الكهوف والغيران
أهي شكوى الأحلام يصرعها المو   ت وشكوى مما تقاسي الأماني؟
أم هي الروح تستغيث وتبكي   من عدو في الموت ذي شنآن
أم هو الموت في الظلام يغنّي   أم عزيفٌ يدوي من الجنان؟!

ان الرمزية الشائعة في الشعر الحديث المشوبة بالاحساس الرومانطيقي لتتجلى بأوضح بيان في أشعار أعلام المدرسة الحديثة واننا لو قارنا هذه الظاهرة الشعرية بما كان عليه الشعر الانجليزي والفرنسي في القرن التاسع عشر لوجدنا تقارباً مدهشاً ولكن لا عجب فهذه الفترات هي بلا شك فترات التحول العنيف في نفسية الأمم .

ان قصائد المديح والحفلات التي كانت شائعة في الشعر الى وقت قريب لتختفي في أشعار أعلام المدرسة الحديثة اختفاء يكاد يكون تاماً فلا تضم هذه الأشعار إلاّ كنوزاً من المشاعر والآلام والأشجان تتدفق في خلال السطور وتتفجر بها الألفاظ فتشيع في النفس فيضاً من الجمال والنشوة والتسامي .

مختار الوكيل

باب الأخبار العلمية

من معجزات العلوم والفنون

المخترعات العصرية مصدر ارتقاء المدنية والراحة البيتية

ما من شك أن البيوت التي سوف تبنى حينما يستتب السلام ، في آفاق العالم ، ستبلغ مئات الملايين . ومن المحقق أنها ستحوي مرافق جمة ومعدّات شتى من ثمار الحرب الحالية ، ولا غرو فقد أعاق استعار نيران القتال ، تشييد المنازل ، بيد انه لم يَصْدف ذوي العبقريات عن منتجاتهم الطريفة .

أشعة ما دون الاحمر (1)

تجفف الدهانات وتدفىء القاعات والحمامات

وأول هاتيك المستحدثات ، مصابيح أشعة ما تحت الأحمر ، وهي المستعملة حالياً في المصانع الحربية لتجفيف الدهانات التي تدهن بها السيارات والدبابات الحربية ، وذلك في دقائق يسيرة ، بدلاً من وسائل التجفيف العتيقة ، التي كانت تقتضي ساعات كثيرة . وقد تساءل العلماء قائلين : « لماذا لا ننتفع بهذا النوع من المصابيح في بيوتنا وما المانع من كوننا نلحق كلاً منها بمرشح ضوئي ، ثم نركب مفاتيحها في بؤر الضوء الكهربي ، المثبتة في حيطان منازلنا ، وبخاصة في حجر نومنا وغرف حماماتنا ، لنقشع عنها قرّ الشتاء ، على الفور ! ؟ اننا لفاعلون ، إذن ، في القريب العاجل ، ولا عجب فقد تبين لنا بالتجارب التي قمنا بها ، أن في وسع كل امرئ ترك جميع نوافذ داره مفتوحة ، وان هبطت حرارة الجو الى درجة ٤٠ فرنهيت . ومع ذلك يظل جسمه دافئاً ما دام مغموراً بأشعة ما دون الأحمر التي تصدر من أجهزتها التي تركب في حيطان بيته وأرضية حجره .

مواقد للطهي بأشعة ما دون الاحمر

ومن هذا القبيل مثال آخر هو كيفية قيام المصابيح التي استعملت في خلال الحرب الحاضرة ، بحل المشكلات التي تجبه الأنام في أزمنة السلام . وقد تكشف هذا الاختراع

---

(١) هي الاشعة التي تصدر من الاجسام السخينة وهي خفية تحت الاحمر في الطيف الشمسي . وموجاتها أطول منها في الاشعة الحمر المرئية ، وذبذباتها أقل من ٤٠٠ بليون في الثانية . وأسهل وصف لها انها الاشعة غير المرئية التي تنبعث من المكاوي الساخنة التي تكوى بها الملابس .

حينما أسقط أحد العلماء ، بيضتين وبضع شرائح نيئة من لحم الخنزير ، على عدسة مقلوبة من عدسات الفانوس الأمامي ، ذي الشعاعة المحكمة الاغلاق لقاذفة من قاذفات القنابل للجيش الاميركي ، فنضجت البيضتان وشرائح اللحم في هنيهة . فاستخدام أشعة الضوء إذن في تعجيل الطبخ ، هو من المخترعات الحديثة التي سوف تعمّ مطابخ بيوت العظماء عقب انتهاء الحرب الراهنة الشعواء

إدخار حرارة الشمس نهاراً
للتدفئة بها ليلاً

ولا يألو العلماء جهداً في إعداد المعدات العلمية التي تكفل تدفئة البيوت شتاءً لسكانها ، وذلك بأساليب أخرى . إذ يقوم المهندسون المعماريون باستخدام حرارة الشمس لتلك الغاية حيث يستعينون على خزنها باستعمال نوافذ ذات ألواح كبيرة من الزجاج أو قوالب من الزجاج « على شكل قوالب الطوب » لبناء الحيطان المواجهة للجهة القبلية للبيت ، توخياً لاقتباسها جُلّ حرارة الشمس التي تنزل عليها ، ثم جعل سقوف تلك البيوت المرتقبة معلقة فوق المباني بهيئة جمالون تخفيفاً للقيظ في فصل الصيف .

جهاز للتدفئة والترطيب الجويين

وقد نال أحد المخترعين امتيازاً باختراع جهاز للتسخين يستعمل للتبريد أيضاً وذلك أن حرارة الشمس تؤثر في ملفات الأنابيب الموضوعة في خزان في غرفة فوق سطح المنزل نهاراً . وللخزان مفاتيح اتوماتيكية تعكس العملية ليلاً . وينشأ هذا عن معادن ومواد كيميائية خاصة تخزن الحرارة أو الرطوبة في الخزانات بحسب الرغبة

تدفئة البيوت بالحرارة المشعة

ويتيسر انتفاع البيوت الجديدة بالحرارة المشعة ، التي تركب أنابيبها في باطن حيطانها أو تحت ألواح أرضية حجرها أو خلف وزراتها ، فيشعر المرء بالدفء الذي تولده ، دون حرارتها . وقد تكشف لخبراء صناعة الفخار أن أرضية البيت وحيطانه اذا كانت من الفخار المدهون ، سهل تنظيفها بقطعة نسيج مبللة بالماء ، وصارت أصلح شيء لتركيب أجهزة الحرارة المشعة .

التسخين بالصمامات الكهربية

أما التسخين بالصمامات الكهربية فقد سبق أن استعمل في الحرب الدائرة الرحى فهو إذن من الوسائل الميسورة ، غير أنه ما يزال فادح النفقات ، بحيث لا يمكن تعميم انتشاره . ومع ذلك فان جهاز ميجاثرم Megatherm الذي هو أقل استهلاكاً للتيار الكهربي ، من الموقد الكهربي ، يشوي شرائح اللحم في بضع ثوانٍ وتقتضي هذه الطريقة تركيب مفتاح الجهاز في بؤر التيار

الكهربي المألوفة . ثم وضع الطعام المزمع إنضاجه بين اللوحتين المعدنيتين المثبتتين في الجهاز نفسه .

جهاز يوقد بالبنزين فيدفىء ٢٠ حجرة

هذا وقد اخترعت للقوات المحاربة في حومات الوغى ، أجهزة صغيرة كثيرة قوية . وسوف تعد للبيوت حينما تنتهي الحرب الحالية . ومنها جهاز يقل ثقله عن ٢٥ رطلاً انكليزيًّا ، يوقد بالبنزين فيستطيع تدفئة بيت مؤلف من ٢٠ حجرة

صناديق أوتوماتيكية للرسائل البرقية

ومن المخترعات العتيدة صناديق أوتوماتيكية للرسائل البرقية معدّة لخدمة الشعب بحيث اذا اعتزم امرؤٌ زيارة قريبه أو صديقه ، أصبح في وسعه ابلاغه نبأ قدومه ببرقية . وما عليه عندئذٍ إلاّ الاتجاه صوب الصندوق الذي أشرنا اليه ، حيث يكتب رسالته المقصودة ، ثم يضغط زرًّا مثبتاً في الصندوق ، ويلقي في ثغرته القرطاس المدونة فيه الرسالة فتنتقل صورتها مكتوبة طبق أصلها الى أقرب مكتب للتلغراف .

ثياب من النيلون Nylon

تمكن علماء الكيمياء في بضع السنين الماضية من انتاج ثمرة هي أينع ثمارهم وأعني بها النيلون ، وهو شعر من الشعور الصناعية الجديدة التي قوامها الفحم الحجري والهواء والماء — اذ أنتج الكيميائيون من هذه العناصر العامة الجزيلة ، شعراً لا يبعد أن يصير منافساً قويًّا للحرير الطبيعي . وقد نُسجت من هذه المادة جوارب ، كادت تبلغ الهدف الذي كان ينشده مخترعو المنسوجات ، وهو صنع جورب شفاف مزدوج الخيوط ، ينافس الجورب المثلث الخيوط متانة ، والنيلون أول مادة صالحة للاستعمال في ميدان الشعر الصناعي ، الذي يستخرج من المواد غير العضوية . أما سائر الشعور فتتركب من المواد العضوية أي المواد المتخذة أصلاً من الأحياء ، نباتات كانت أو حيوانات . ويتسنى مدّ النيلون خيوطاً أدق من خيوط الحرير الطبيعي . ومظهره وملمسه يشبهان حرير دود القز ، ولكنه أمتن منه وأشد مرونة . وأضحت الغانيات يكتسينَ من قمة الرأس ، الى أخمص القدم ، بمنسوجات النيلون ، ويتظللنَ بظللٍ منه ويتقبعنَ قبعاته ويتدثرنَ بمماطره وقايةً من المطر . ثم يحتذينَ أحذية منه ، نعالها من المطاط الصناعي ، وكعوبها من العجائن الكيميائية . وستغدو بنائق النيلون المطوية من أحدث الأزياء للنساء فلا يضطررنَ إلى كيها من حين إلى آخر ، بل يكتفينَ بضغطها بأيديهنَّ لازالة ما يطرأ عليها من التغضن (الكرمشة) ، وستكون ملابسهنَّ مقاومة للبلل والتجعد ، إذ تعالج بمواد تقيها الاحتراق وتكسبها متانة مثلها في بنائق قمصان الرجال

وأكمامهم التي تتخذ من نسيج النيلون أيضاً فتعيش زمناً يفوقه في سائر الثياب . وسيأتي يوم قريب جداً يلبس فيه الرجال كذلك قبعات لباد من نسيج اللبن . وستحدث تطورات في الأزياء تفضي الى جعل الغيد يتخذنَ من شعر النيلون حشوات لشعورهنّ بدلاً من فروعهنّ ، فيظهرنَ بمظهر أنيق جذاب يبذ شعرهنّ الطبيعي .

العجائن الكيميائية وغيرها

في الدور العصرية

وأصبح في وسع صاحب السيارة حينما يقصد إلى بيته مسرعاً مخترقاً طريقه المعتاد أن يجعل المصابيح الأمامية لسيارته عند بلوغه داره ، توقظ العيون الكهربية المركبة فيها ، فتضيء له مستودع سيارته وتقرع جرس بابه فينفتح له . وكذلك تقوم العيون الكهربية بفتح الباب الأمامي للمسكن فاذا أتيح لك ولوج مثل ذلك البيت المجهز بهذه المخترعات المدهشة ، استرعت أبصارك رياشه العجيبة التي لا تؤثر فيه تقلبات الجوّ وهي من المصنوعات التي اخترعت في غضون الحرب . ومن مميزاتها انها لا تتجعد وان هطل عليها المطر مدراراً ، بل تزداد بهاءً . ولا يؤثر فيها الحر ولا الحشرات . وهناك تشاهد أيضاً « سدف » من نسيج لا تؤثر فيه النيران وحجباً « برقانات » لا يؤثر فيها الصدأ لكونها مصنوعة من العجائن الكيميائية ومدهونة بدهانات ملائمة لألوان حيطان البيت ، وهذه الصبغات أيضاً من العجائن الكيميائية . وفي حجرة الاستراحة تجد مصباحاً تنبعث منه أشعة ما وراء البنفسجي لابادة ما عساه يكون قد علق بثيابك من جراثيم الطريق . ثم تشاهد منضدة فوقها مصباح آخر من الأليومينيم فيروقك منظره فتبادر الى فحصه . (ولا يخفى عليك أن هذا الفلز سيصير بعد انتهاء الحرب ، أكثر المعادن انتشاراً وأزهدها ثمناً) ومبعث الاضاءة في ذلك المصباح اداة على شكل نعل الفرس بدلاً من الفتيلة المألوفة . فيصدر منه ضوء متألق ، فتوقن حينئذٍ أن النقل اللاسلكي للتيار الكهربي ، قد غدا حقيقة ثابتة . وسوف تكون غرف الدار رحيبة ، وربما يخيل اليك أنها أرحب من حقيقتها . وذلك نتيجة المباحث التي اضطلع بها المخترعون في زمن الحرب لتنسيق أثاث البيوت ، إذ اخترعوا منسوجات توشى بها الحيطان للزينة تشع منها اضواء معتدلة التألق ، فاذا خطر لك التحقق منها ، ففحصتها عن كثب ، تبين لك أنها نسيج من شعر الزجاج ، وهو خيوط دقيقة لا تحترق ولا تتمدد ، سهلة التنظيف بخرقة مبللة بالماء ، لتزيل ما يلتصق بها من العثير وآثار الأصابع .

ومن العجائن الكيميائية يصنع نوع من خشب البلاكاش ، تتخذ منه أفاريز وحشوات للحيطان تفوق الفولاذ متانة .

وكذلك تصلح العجائن الكيميائية لصنع ورق لتغطية الحيطان البيتية فتروق الناظر اليها . واذا أمعنت في استجلائها ظهر لك أنها مغشاة بغشاء رقيق شفاف من العجائن الكيميائية ، يسهل تنظيفه بالماء والصابون . وقد تبصر صندوقاً مزخرفاً مستنداً إلى إحدى زوايا الحجرة ، فتظنه جهاز الراديو المبصر الجديد ، ذا العدسة المصنوعة من العجائن الكيميائية التي تعرض منها المشاهد على ستار مربع مساحته ٦ × ٦ أقدام فاذا فتحته اتضح لك انه جهاز خشبي مقشوط مزخرف وضع في قاعة الاستقبال خصوصاً للمشروبات المرطبة

الزجاج اللين والاثاثات العجينية

واذا خطر لك بعدئذٍ أن تطل من نافذة فاتكأت عليها ، لتتأمل هطول المطر حينئذٍ ، رأيت النافذة تنحني تحت ساعديك ، فيستولى عليك الذعر ، حتى توقن أنه الزجاج السحري المتين الذي يتاح حنيه إلى درجة ٢٠ دون تحطيمه . واذا عمدت الى بحث كنه أثاث البيت ، تبين لك أنه مجموعة متناسقة من العجائن الكيميائية الشفافة وألواح زجاجية ومصنوعات من الاليومينيم . ولا تلبث ربة الدار أن تخف الى لقائك معتذرة عن غيابها فتصارحك القول انها كانت مشغولة بطهي العشاء وغسل الكساء وتغذية الطفل . وانها تؤدي هذه الاعمال جميعها في آن واحد . ولا يبعد أن تشك في صدق أقوالها ولكنك إذا أردت معرفة اليقين فرافقتها الى حجرة أطفالها ، شاهدت هناك خزانة فيها مصباح لأشعة ما فوق البنفسجي لتطهير زجاجات الرضاعة من الجراثيم التي تغشاها .

جهاز البريسيبيترون Precipitron
وتكييف الهواء

ثم ترى جهاز البريسيبيترون لتنقية الحجر من الغبار ولتطهير حلقات المطاط اللينة التي يمصها الأطفال . وكذلك كرسي اللعب المنتفخ بالهواء . وهو من المخترعات التي اقتبست من أطواف المطاط الخاصة التي تستعملها قوات السلاح الجوي . ثم تنتقل بك ربة الدار الى غرفة نوم الضيوف حيث تجد آلة غريبة الشكل فتظنها أول وهلة جهاز صقل الأرضية مودعاً في زاويتها ، فتؤكد لك مضيفتك من فورها أن ما تراه إنما هو جهاز متنقل لتكييف الهواء .

حشايا البابلفيل Bubblfil

وإذا رقدت على السرير ، ألفيته ، ثابتاً كل الثبات ، وثيراً جدًّا ، فلا يسعك إلاّ ابداء إعجابك به ، فلا تلبث ربة الدار حتى تنبئك أنك جالس على حشية البابلفيل وهو نوع من السيلوفان Cellophane « الورق المتين الصقيل الشفاف الذي تلف به علب السجائر وغيرها » منفوخ بالهواء ، يشبه جاكتات الانقاذ المستعملة في الحرب الراهنة وهو يحل محل الاسفنج الطبيعي .

مطابخ خالية من الخدم

أما المطابخ الخالية من الخدم فحدّث عنها ولا حرج حيث يوجد فيها خزائن مبنية في الحيطان لخزن مواد الطعام المختلفة . وثمة جهاز لتبريد الأطعمة ، تبلغ مساحته ١٢ قدماً مكعبة ، يتصل بالسقف الداخلي للمطبخ ويحتوي على أغذية مبردة محفوظة في علب ، وذلك على رف علوه ست أقدام . أما الخضراوات وقناني المحفوظات ففي قعر الجهاز

ثم إن اطارات النوافذ التي تصنع من الألومنيم ، وكذلك إطارات ألواح الزجاج التي تتخذ من المعدن نفسه ، وكذلك شيش النوافذ الاليومنيم ، تزيد رونق الحمامات العصرية كما يزداد رواؤها بنظافتها وبجمال رفوف اللوسيت Lucite الشفافة التي تجفف عليها المناشف ، وبأطباق الصابون التي تصنع أيضاً من هاتيك العجائن الكيميائية .

وفي المطبخ جهاز آخر لتكييف الزبدة ، ابتغاء الاحتفاظ بها غضة . وفي جهاز التبريد أيضاً مصباح صغير من طراز .Sterilamp استريلامب لأشعة ما وراء البنفسجي ، وذلك لتليين اللحوم التارزة .

ويجهز المطبخ أيضاً بجهاز لاراحة ربة الدار من العناء ، إذ يقوم بتقديم الطعام وغسل الأطباق حيث يوضع الطعام الساخن في قسم التسخين والطعام البارد في قسم التبريد وتوجد الأطباق التي غسلت بعد آخر وجبة للطعام في القسم الخاص بها . ولذلك يحول هذا الجهاز المتحرك ، على عجلاته ، الى السفرة حيث يقدَّم الطعام على الأطباق التي يحملها . وبعد انتهاء الأكل يعاد وضع الأطباق في تلك العربة ثم ترحَّل الى المطبخ حيث يشرع الجهاز الغسّال في غسلها .

هذا وقد تمَّ صنع مجموعة أدوات مطبخ بأسرها من الفولاذ الذي لا يصدأ . ويحتوي جهاز مزج السوائل الذي يركبُ في باطن حائط المطبخ ، على آلة لتقشير البطاطس . ثم إن لوحة كي الملابس الصغيرة المستترة في الحائط ، مغشاة بطبقة من الازبستوس Asbestos وهو نسيج معدني لا يحترق ويستعمل في أزمنة الحرب لتغشية ثياب مطفئي الحريق في السفن التي تحمل الطائرات. وصناديق الخبز والكعك تشبَّع بمادة الميكوبان Mycoban لمنع تعفن محتوياتها . وتصنع الآن أباريق شفافة للشاي من العجائن الكيميائية ، فيستطيع الذي يحضر الشاي أو شاربه التيقن ، هل افرزت أوراقه إفرازاً تامًّا أو ناقصاً . وتركب على بالوعات المطابخ آلة كهربية تتصرف فيما يصل الى البالوعة من فضلات الطعام وقمامات الدار .

وبعض هذه المخترعات التي سردناها ، هو من الأشياء المرتقبة بعد أن تضع الحرب الراهنة أوزارها . وهي باهظة الثمن حالياً ولكن أسعارها ستنخفض حينما يشتد الاقبال عليها ، ويتسع نطاق صناعتها .

عوض جندي

فهرس الجزء الثاني

من المجلد السابع بعد المائة

٨٩ الفيلسوف الباكي هيرقليطس الأيوني : اسماعيل مظهر

٩٨ من حديقة ابيقور : أناتول فرانس

١٠٠ قواعد النظام المالي الاسلامي — الخراج : فؤاد محمد شبل

١٠٩ عالم المجهول أيضاً : نقولا الحداد

١١١ المباراة والتعاون — الصراع بينهما وأيهما يسود : سلامه موسى

١١٩ انسان الفطحل : بحث لغوي علمي

١٢٤ لا تدخن : فهمي عطا الله

١٢٥ الأسرة والمجتمع

١٢٩ الأحلام والروح : أحمد فهمي أبو الخير

١٣١ مسجد المدرسة العزية بالجسر الأبيض : السيد محمد رجب

١٣٦ الحمامة المفقودة (قصيدة) : نقولا الحداد

١٣٨ التهيج الانفعالي — بعض النظريات الحديثة فيه : حسن السلمان

١٤٧ معجزات جديدة في الجراحة

١٤٨ من أنواع النبات الطبي : محمود مصطفى الدمياطي بك

---

١٧٠ باب الاخبار العلمية * من معجزات العلوم والفنون — المخترعات العصرية مصدر ارتقاء المدنية والراحة البيتية . أشعة ما دون الاحمر تجفف الدهانات وتدفىء القاعات والحمامات . مواقد للطهي بأشعة ما دون الاحمر . ادخار حرارة الشمس نهاراً للتدفئة بها ليلاً . جهاز للتدفئة والترطيب الجويين . تدفئة البيوت بالحرارة المشعة . التسخين بالصمامات الكهربية . جهاز يوقد بالبنزين فيدفىء ٢٠ حجرة . صناديق اوتوماتيكية للرسائل البرقية . ثياب من النيلون . المعاجن الكيميائية وغيرها في الدور العصرية . الزجاج اللين والاثاثات العجينية . جهاز البريسبيترون . حشايا إلبا بلفيل . مطابخ خالية من الخدم . عوض جندي

١٥٠ باب المراسلة والمناظرة * مجلة علم النفس والزمان الوجودي : اسماعيل مظهر

١٥٩ مكتبة المقتطف * ١ — التعليم في رأي القابسي من علماء القرن الرابع . ٢ — مرايا الناس : محمد عبد الغني حسن . تعقيب على نقد كتاب : محمد يوسف موسى . البلاغة العصرية واللغة العربية : وديع فلسطين . نفر ـ رس ـ اس . الروائع لشعراء الجيل : مختار الوكيل .